روايات عبير

السر المؤلم

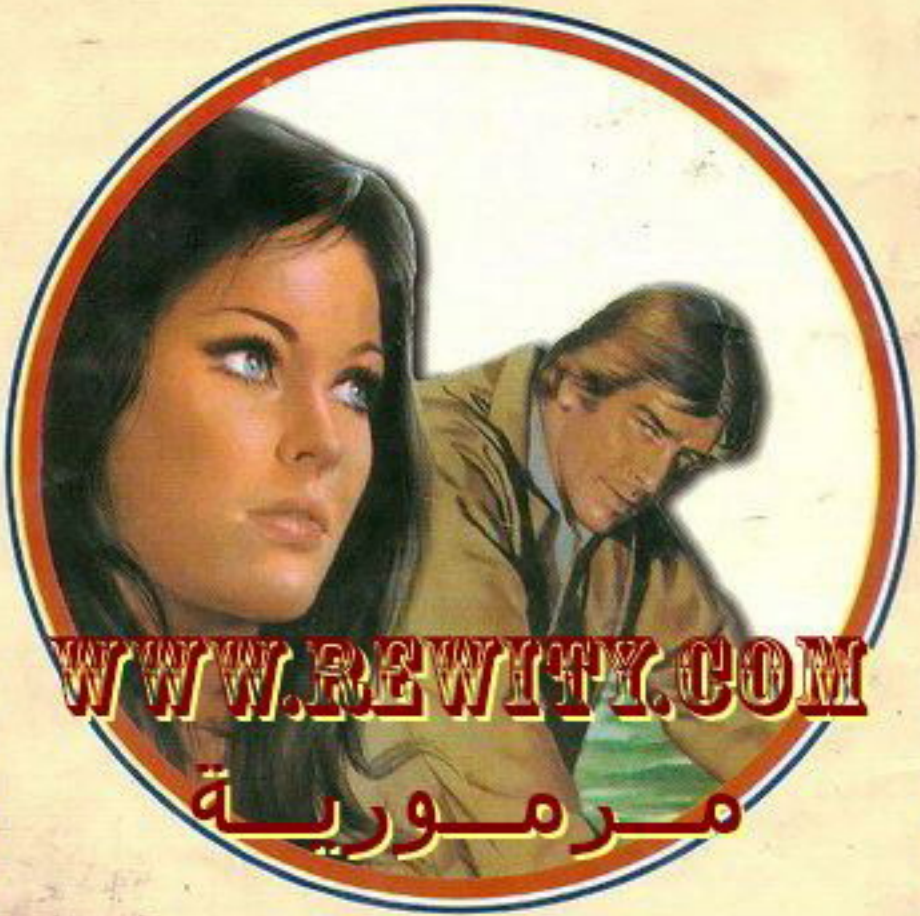

WWW.REWITY.COM

مـــرمـــوريـــة

Lise REINHARDT

N° 623

روايات عبير

جلس "كلانسي" وإلى جواره "ليزا" في الحديقة ينصتان إلى تغريد البلبل.. وكأنهما يسمعانه يردد أنشودة الحب، وتسبيح الحمد على النصر الذي حققاه، وأمنيات طيبة للحياة الجديدة.

www.rewity.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-443-01-7
9 789953 443010

الشخصيات

"كلانسي دوناهي" : ثري يعمل لحساب أمن "سيدي خان" .. مكلف بالقبض على محرك الإرهابيين .

"لين بيرتولد" : مساعد "كلانسي" السابق .

"ليزا لاندون" : مطربة .. مطلقة رجل الإرهاب .

"مارتن بالدوين" : مطلق "ليزا" .. رجل الإرهاب .

"چون جالبريت" : أحد الحرس .

"كيرا" : ساهمت في إعداد حفل العرس، وأيضا في القبض على "مارتن" .

"مارنا" : مرضعة "كيرا" .. (عجرية) تستخدم السحر .

www.rewity.com

المقدمة

لم يقف العمل الجاد المتواصل حائلاً دون أن يطرق الحب باب رجل المباحث المكلف بالقبض على الشخص الذي يمد الإرهابيين بالسلاح والمال .

هذا ما قام بإبرازه كاتب هذه الرواية في إطار متعدد المواقف، جذاب .

إنها رواية لا يمل القارئ من متابعتها ،بل إنه سيجد نفسه مضطرا –أحيانا – إلى التوقف عند البعض منها؛ لتذوق عذوبة أسلوبها وعمق مضمونها .

الفصل الأول

تعمق "كلانسي دوناهي" في مقعده ذي المسندين وقال إذ استنتج هذا من محدثه :

– إذن ! لها أربعة أيام هنا .

ثم مدد ساقيه الطويلتين أمامه . حينئذ حك "لين بيرتولد" رأسه. ثم بحركة عصبية رتب بعض الأوراق على مكتبه .

– ما الذي يضايقك يا "لين" ؟

– إن ما يضايقني يا "كلانسي" هو تورطي في قصتك. إني رجل مرتب. لقد مرت عدة سنوات منذ أن تخليت عن خدماتك؛ لكي أقوم بإدارة فندق في "پارادايز كاي" . كما أني أفضل أن تعد فخك في مكان آخر .

– خسارة! لكن ميناء السلام بالنسبة لك هو المكان الذي تحلم به. إن جزيرة "پارادايز كاي" من بين أملاك "سيدي خان" .

ثم ختم كلماته بقوله :

– وإذا كنت قد عينتك في وظيفتك هذه فهو لأنك تجيد طاعة الأوامر .

تنهد "لين" . لم يكن "دوناهي" في احتياج إلى تذكيره بذلك. لقد كان يعلم قدرة فائد خدمات "سيدي خان" السرية حتى إنه كان شريكه فيما مضى، وكان نبأ وصوله إلى فندقه السياحي قد أربك حياته الهادئة :

– بالتأكيد يا "كلانسي" . لقد اتبعت تعليماتك بالحرف الواحد. إن "ليزا لاندون" تغني منذ ليلتين في ملهانا تحت الأرض. إنها في الواقع ليست رديئة... حتى إنها...

تردد كمن يبحث عن المعنى الصحيح ثم هز كتفيه قائلا :

– لست أدري. شيئا من ....

– أنا لم آت لمشاهدة مواهبها والإعجاب بها. هل "جالبريث" يراقبها؟

– على الدوام. أنا لم أنس شيئا منذ كنت أعمل لحسابك. إننا على علم بادق أعمالها وحركاتها. لم يطلبها "بالدوين" حتى الآن لمكالمة تليفونية. بالإضافة إلى أنه لم يرها أحد في أي فندق في الجزيرة .

استطرد "كلانسي" ملحا وهو يفحصه بعينيه الزرقاوين :

– هل أنت متأكد من ذلك ؟

– حتما. لقد أرسلت رجلا مزودا بصورتها؛ لكي يبحث عنها في كل مكان. من يدري؟! ربما يكون "بالدوين" قد كف عن الاهتمام بهذه الفتاة؟

– آه لا ! إنه حيثما تواجدت "ليزا" – هناك– يظهر زوجها السابق وهي تستمر – دائما – في مضايقته بملازمتها له .

– بالرغم من أنهما انفصلا منذ أكثر من ثلاث سنوات كما علمت منك.

هز "كلانسي" رأسه ورد :

– إن الملاحقة لا تختفي بين عشية وضحاها. كل شيء مدون في الملف الخاص بها! مشاهد غيرة، أعمال عنف، تهديدات علنية، وهو لم يتنكر لزوجته السابقة... متى ستمر هذا المساء؟ في أي ساعة بالتحديد؟

– إن وصلتها الغنائية الثانية في الساعة العاشرة .

نظر "كلانسي" إلى ساعته الذهبية :

– أي بعد ربع ساعة. أتريد أن تحضرها ؟

أجاب "كلانسي" وهو ينهض برشاقة بالنسبة لجسمه القوي :

– نعم، وسوف أتحدث معها وسأحاول اصطحابها للانضمام إلينا والاشتراك معنا .

– وإذا رفضت ؟

أجاب بابتسامة خفيفة :

– سنستخدمها بالرغم من ذلك. إني متمسك بوضع اليد على هذا الـ"بالدوين" الجبان . أين "جالبريث" حاليا ؟

– من المحتمل أن يكون في الملهى .

– حسناً... أخشى ألا أشرف فندقكم الفاخر الذي يعتبر من الدرجة الأولى يا "لين"؛ لأني لم أجد الوقت الكافي لتبديل ملابسي حتى أكون في مظهر لائق. ما رأيك أن تتصل بهم هاتفياً؛ لكي لا يخرجوني خارجاً ؟

أجابه "بيرتولد" :

– لا أظن أنهم قد يتعرضون لذلك..

كان "كلانسي" يتمتع بقوام فارع أقرب ما يكون إلى كمال الأجسام، عريض المنكبين. فكان بذلك يعد خصما يخشى منه لأي شخص من رجال الليل .

– سأتصل بـ"مونتي" لكي أحيطه علما بوصولك .

أجاب وهو يتجه نحو الباب بمشيته الرشيقة :

– شكرا .

– هل حجزت حجرة هنا أم أنك تريد أن أحجز لك واحدة ؟

– إني مقيم في ڤيلتي على الشاطئ. إنها قريبة من هنا بقدر كاف. لقد مللت حياة الفندق. منذ ستة شهور وأنا أنتقل من مدينة إلى أخرى سعياً وراء "بالدوين" .

ثم غادر المكتب دون انتظار رد لكلماته .

وبينما هو يجتاز صالة الاستقبال الفسيحة كان يعمل على إرخاء عضلات عنقه وكتفيه. إنه لم يكذب عندما قال لـ"بيرتولد" : إنه متعب؛ لأنه لم ينم أكثر من أربع ساعات في الطائرة التي أقلته من "لوس أنجلوس" إلى هذه الجزيرة الصغيرة .

كان ملهى الفندق مريحا ذا ضوء خافت كسائر الملاهي التي سبق له أن ارتادها على مر السنين وقد تعد بالآلاف .

كان– من الجانب الآخر لهذه القاعة– يجلس على المسرح ثلاثة موسيقيين يعزفون مقطوعة جاز بإتقان فما كان من "كلانسي" إلا أنه جلس في المدخل لكي يتلذذ بانغام عزفهم؛ إذ كان دائما يعشق موسيقى الجاز، ومما أدهش "أليكس بن رشيد" صديقه حاكم "سيدي خان" أن الجاز تعتبر موسيقى الشاعرية والحنان! علما بان هذه الصفات لا تتفق مع شخصية "كلانسي". حقا كان هذا الأخير يقدر النساء لكن علاقاته بهن كانت محدودة؛ لأن طبيعة عمله لا تسمح له بالانفتاح على دنيا الأحاسيس الفياضة .

كان الثلاثي يعزف بمهارة فائقة جعلت ملامح "كلانسي" القاسية تنبسط .

– "كلانسي" ؟

التفت نحو اليسار. كان "جالبريت" يتقدم نحوه وعلى محياه ابتسامة مشرقة. كان نموذجا للشاب الأمريكي: بشعره القصير ومظهره الواضح. كما أن قميصه ورداءه السموكينج يجعلان منه سائحا مرموقا في هذا الملهى الفاخر.

– "چون". هل عندك مائدة ؟

أجاب "جالبريت" مشيرا إلى المنصة :

– هناك. إني أجلس هناك– في العمق– عندما أكون مكلفاً بالرقابة غير أني كنت أعتقد أنك تفضل رؤية "ليزا لاندون" عن قرب. لقد أعلمتني في اتصالك التليفوني أنك كنت تنوي التحدث معها ...

بعد ذلك دار حول نفسه؛ لكي يشق لنفسه طريقاً صعباً بين الموائد الصغيرة الملتصقة ببعضها، وأخيراً وصل على مقربة من المسرح.

ثم صاح عندما رأى "كلانسي" وهو يتخذ لنفسه مكانا أمامه على نفس المائدة :

– إنك تبدو متعباً ! ماذا حدث؟

أجاب "كلانسي" :

– ياه ! الروتين !

ثم أشار "لا" برأسه إلى الخادم الذي تقدم إليهما؛ إذ كان يرغب في الاحتفاظ بصفاء ذهنه.

ثم استفسر :

– ولا إشارة من "بالدوين" ؟

– أبداً. إن "ليزا" لم تتصل منذ وصولها إلى الفندق. إنها تتنزه طويلا على الشاطئ كل يوم ولا تتحدث إلى أحد. أو – على الأقل– إلى أحد ذي أهمية، ولقد ساعدت في فترة بعد الظهر صبيا على تشييد قصر من الرمال، ثم عادت إلى هنا. قامت بعمل بروفة مع هذا الثلاثي الذي يعزف الآن، ثم تناولت العشاء في حجرتها. بعد ذلك ذهبت مباشرة للنوم. لا يوجد رجل في حياتها منذ أن تواجدت في "پارادايز كاي".

قال "كلانسي" بصوت منخفض :

– لا يوجد رجل في حياتها ولا حتى في أماكن أخرى. أمر عجيب! قد يعني ذلك أنها مازالت متمسكة بـ"بالدوين". اللهم إلا إذا كانت قد أصيبت بالبرود.

صاح "جالبريت" :

– لا !

ولما نظر إليه "كلانسي" دهشاً تمتم؛ إذ شعر بالحرج :

– لأني... لا أستطيع أن أتخيل أنها باردة مع من تحب.

– وكأنها أثرت عليك؟! ترى هل تكون هذه السيدة قدرا محتوماً؟

شعر "جالبريت" بالضيق؛ فعمل على تغيير وضعه على المقعد :

– لا. يا إلهي! إنك تعلم جيداً أني لا أعجب بالسيدات في العمر المتوسط !

– إنها في السابعة والثلاثين من عمرها... لابد أن تكون جميلة جداً حتى إنها أعجبتك بغض النظر عن عمرها.

كان "كلانسي" قد تكلم بصوت تهكمي غير أن "چون جالبريت" لم يتنبه إلى ذلك.

أجابه :

– في الحقيقة لست أدري غير أن لها شيئا ما ...

أشاح بيده وسكت.

– هذا ما يعتقده "بيرتولد" هو أيضا... آه.. آه.. لقد بدأت هذه المطربة في جذب اهتمامي وإثارة فضولي وقد نجحت في تليين أقسى شخصين مثلكما. لكن ترى هل تتمتع هذه المخلوقة بصوت عذب ؟

– نعم، إنها تغني ببراعة. جيدة جداً بالنسبة لملهى في فندق! إن صوتها يذكر بصوت "تانا موسكوري".

تمتم "كلانسي" وقد بدا مهتما :

– حقاً حقاً.

– لن تنتظر طويلا.

– آه ؟

أشار "جالبريت" إلى عازف البيان الذي جلس أمام مكبر الصوت وكان

يعمل على تعديل ارتفاعه بعناية :

– ستصل بين دقيقة وأخرى .

كانت المقدمة عبارة عن فاصل موسيقي قصير قام بتقديمه عازف الكمان، ثم دخلت بعد ذلك المطربة في بساطة كاملة. تقدمت –برشاقة– إلى مكبر الصوت واستقرت على مقعد عال: كانت ترتدي بلوزة من الحرير الأبيض ذات كمين طويلين، وچونلة أنيقة تصل إلى كعبيها. لاحظ "كلانسي" أنها طويلة، ونحيفة، وأن هيكلها العظمي دقيق جداً، كما كان شعرها الأشقر– بالطبيعة– مضموما من الخلف بشريط ذهبي.

لم يسمح الضوء الخافت باكتشاف ملامحها غير أنه يبدو أن وجهها ليس ذا جمال خاص .

وعندما أضيء نور المسرح الأمامي مال "كلانسي" إلى الأمام لكي يتحقق أكثر من ملامح "ليزا" .

بالإجماع أحس بشعور حار: إنها حرارة عينيها الواسعتين العسليتين .

وعند الاستراحة كان وجهها يعبر عن حزن واضح سرعان ما يختفي لتحل محله ابتسامة رقيقة.. ابتسامة مشرقة من شفتيها الممتلئتين نفذت مباشرة إلى قلب "كلانسي" .

– مساء الخير. إني أدعى "ليزا"، لديّ بعض الأغاني سوف أرددها لاجلكم... كانت تتكلم بطريقة ودية وكأنها تعرف أفراد كل المجلس .

– بعد ذلك في إمكاني الغناء بما تطالبوني به لكن ليس على الطريقة الأوبرالية إذا شئتم. أنا لست مدام "بترفلاي" !

ومما زاد تأثر "كلانسي" حتى أعماقه ضحكتها الرنانة .

أردفت متجهة إلى عازف البيان :

– جاهز؟ مستعد؟ إذن هيا بنا .

تحقق "كلانسي" – خلال الخمس والأربعين دقيقة التالية– من أن "جالبريت" و"بيرتولد" كانا على حق: "ليزا" تجيد الغناء. إنها تغني بصوت واضح، ومؤثر، ومنغم بإتقان لكنه لم يكن مستعدا للحكم على فنها بالقدر الكافي؛ إذ كان كل اهتمامه منصباً على "ليزا" السيدة وليس على "ليزا" المطربة: يداها الرقيقتان النحيفتان ذواتا الحركات الرقيقة الموقوتة

بمواقف الأغنية، خطوط العنق الرقيق التي ترتسم تحت الحرير الخفيف، رقة زهرة الكاميليا، نبضات الحياة التي لا تملكها أي زهرة.. ثم... ثم هذه الابتسامة .

استند "كلانسي" إلى مقعده وسخر – داخليا– من نفسه؛ لأن من عادته عندما يعجب بفتاة فهو يرى فيها ردفيها وساقيها وليس عنقها وابتساماتها! ياله من رد فعل عجيب!

لم يكن "كلانسي" يرى فيها ضالته المنشودة؛ كانت نحيفة جدا وفمها متسعا بقدر ملحوظ غير أنه اعترف أن ساقيها رائعتان، ولقد لاحظ ذلك من فتحة الچونلة المرتفعة .

قطب حاجبيه عندما حكم أنها تكشف عن ساقيها، لكن لماذا؟ لم يكن له عليها أي حق. إنها بالنسبة له إنسانة غريبة. إنهما لم يعرفا بعضهما قبل الآن.

انتهت الأغاني المطلوبة ونزلت "ليزا" من على مقعدها. ثم اختفت بنفس السرعة التي دخلت بها لكن ليس قبل أن تلقي إلى الحاضرين ابتسامة أخيرة. اختفت المطربة وسط عاصفة من التصفيق تنبعث من كل أرجاء الصالة إعجابا وتقديرا .

التفت "جالبريت" نحو قائده، ثم أردف :

– ها هي! هل توصلت إلى وصف هذا الـ"شيء" ،ما "الذي ينبعث منها؟

اضطر "كلانسي" إلى بذل مجهود كبير لكي يخفي ارتباكه.

أجاب :

– إنها تتمتع بشخصية قوية وأيضا بالنضوج. أرى أن شابا مثلك لابد أن ينبهر بصفاتها. إن الفتيات اللاتي تتردد عليهن تنقصهن أعوام طوال حتى يبلغن هذه المرحلة التي وصلت إليها "ليزا" ! اختبر عباراتك يا "چون" ..

أزاح "كلانسي" مقعده ونهض وأضاف :

– وذكّرني أن أفحمك عندما تضايقني مرة أخرى! قد يفيدك ذلك في تطوير شخصيتك!

مط "جالبريت" شفتيه وقال :

– لن أحتاج إلى تذكيرك بذلك؛ إنك تتمتع بذاكرة الفيل. أظن أنك ستذهب لتراها خلف الكواليس. أترغب في أن أصطحبك أم أن أتابع الرقابة؟

تردد "كلانسي" برهة ثم قال بهدوء :

– لا. سأتكفل بذلك.

قال "جالبريت" دهشاً :

– حقاً؟ لكنك كنت قد تخليت– منذ سنوات– عن هذه الأعمال البسيطة.

– لكني سوف أعود إليها؛ لأن بها قد أستعيد شبابي قليلا !

*****

سُمعت قرعات قوية، صارمة على باب "اللوج"، تجمدت "ليزا". ثم حاولت الاسترخاء قليلاً. لا يمكن أن يكون هو! كما أنها لم تحصل على أي إشارة حياة من قبل "مارتن" منذ وصوله إلى "بارادايز كاي" لكنه ليس وقتا للاحتمالات، لكن وجب أن تجيب مهما كان الأمر. مدت يدها إلى صندوق المناديل الورقية وأخذت واحداً لكي تمسح به كريم نزع الماكياج الذي كانت تضعه على وجهها.

قالت :

– ادخل.

– ألم يخبرك أحد أنه ليس من الحذر ترك بابك مفتوحاً أمام كل طارق ؟

وكان الرجل العملاق الواقف أمام عتبة الباب يبدو مضطربا. وكان صوته قاسياً.

استطرد :

– من يدري؟ من الممكن أن أكون "جاك"!

اتسعت عينا "ليزا" من فرط الدهشة عندما أبعدت نظرها عن المرآة. تمتمت وهي تنظر إليه :

– لكنك لست "جاك إيفانتشرير". ومع ذلك كان هذا الرجل يبدو خطيراً: كان طوله يتعدى متراً وأربعة وثمانين سنتيمترا، عريض المنكبين،

فارع القوام، كان وجهه ذا ملامح قاسية ووجنتاه بارزتين أما أنفه فقد يكون قد كُسر خلال مشاجرة في شبابه، وكانت بشرته البرنزية تشبه بشرة سكان "باهاماس" أما شعره الذي كان – مما لا شك فيه – أسود في الماضي فقد خطه الشيب حالياً. كان يهب الناظر إليه فكرة أنه رجل في مقتبل العمر، في ملء القوة، ذو شخصية قوية، وأنه معتاد إصدار الأوامر وإجادة الإدارة.

في بدء الأمر– بدافع من وحيها– تمردت "ليزا" عليه. إنها تمقت الرجال ذوي السلطة منذ بضع سنوات.

رفعت ذقنها وأضافت بنبرة جافة :

– لكنك لست أفضل من هذا الشخص المشؤوم، والأفضل لك أن تنصرف.

تعتم وجه هذا الرجل لكنه احتفظ بثباته، أما هي فقد اعتراها إحساس بأنها فاجأته. بعد قليل ألقى إليها ابتسامة حارة كانت ذات تأثير قوي عليها. ثم هدأت ملامحه القاسية عقب هذه الابتسامة وأصبح رقيقاً.

أردف :

– كنت جافا. أليس كذلك؟ المعذرة! حقاً إن لهجتي قاسية بعض الشيء، وهذا يعد من أكبر مساوئي: أنا "كلانسي دوناهي"، وأرجو أن تسمحي لي بشرف التحدث معك.

ثم أضاف :

– سأدعك تقومين بتفتيشي إذا كانت هذه رغبتك. إني لا أحمل سلاحاً من أي نوع كان.

شكّت "ليزا" في ذلك. إن "كلانسي" لا يشير إلى أنه رجل بلا دفاع لكن ابتسامته كانت خطيرة. أجابته :

– لي بك كل الثقة يا سيد "كلانسي". تفضل، ادخل يا سيد "دوناهي". ما الذي تطلب معرفته ؟

وواصلت "ليزا" نزع الماكياج وأغلق هو الباب. فجأة بدا اللوج صغيراً، محدوداً.

قال وهو يتقدم نحوها :

– أرغب في التعاون معك. مازال لديك كريم في هذا المكان. دعيني

www.rewity.com

أرفعه. أخذ منها المنديل الورقي ومسح المنطقة المغطاة بالكريم بعناية، وكانت حركاته رقيقة جداً بالنسبة لشخص له مثل هاتين اليدين القويتين.

ثم قال وهو يلقي بالمنديل في السلة :

– لقد أتممت عملي. والآن إني أفضل رؤيتك بدون زينة على وجهك. إن لك بشرة رائعة، في بياض ونعومة زهرة الكاميليا، وهذا ما قلته لنفسي عندما شاهدتك هذا المساء وأنت تقومين بالغناء.

– آه! كنت هنا ؟

لم تتمكن من إخفاء دهشتها وهي تنتقل بنظرها من بنطلونه الجينز إلى الـ"تي شيرت" البحاري. كانت لا تعرف "مونتي" منذ فترة طويلة لكنها أقرت أنه جاد من هندامه اللائق بروّاد الملهى.

وضّح لها "كلانسي" مبتسماً :

– إن لي أصدقاء في مراكز مرموقة.

– انا لا اشك في ذلك.

كانت تتمنى أن يبتعد عنها الآن. كان قريبا منها إلى درجة لا تقبلها، كما أن رائحة اللوسيون الذي يستخدمه بعد الحلاقة– وهو برائحة النعناع– كانت تثيرها، لقد أربكها هذا الرجل منذ دخوله إلى اللوج وهو أمر لم تعتده من قبل ولا ترغب في استمراره.

قالت مشيرة إلى مقعد ذي مسندين بالقرب من الباب :

– ألا ترغب في الجلوس ؟

تراجع في الحال. فتنهدت "ليزا" علامة اطمئنان.

– كنت تتحدث عن شركة؟ عن تضامن؟

ألقى بنفسه في المقعد :

– نعم. إني أبحث عن "مارتن بالدوين"، وأعتقد أنه في وسعك معاونتي على العثور عليه. تجمدت :

– هل أنت شرطي ؟

– إني أعمل لحساب خدمات أمن "سيدي خان". إن زوجك السابق قد زود بالأسلحة بعض الإرهابيين المقيمين في "سعيد أبادا" وهو بلد قائم على شاطئ "سيدي خان".

ثم تقسّى وجهه وأنهى حديثه :

– إني لا أحب الرجال الذين ينتمون إلى الإرهاب طمعاً في الثراء أكثر من الإرهابيين أنفسهم؛ لذا وجب عليّ أسر "بالدوين".

قالت "ليزا" لنفسها: "يا إلهي.. لن أنتهي من هذا الـ"مارتن".

لكنها أجابت بهدوء :

– إذن. ابحث عنه. هذا الأمر لا يخصني لا بقليل ولا بكثير.

– إني محتاج إليك. إن "بالدوين" يعرف أني أتعقبه كما أن له شركاء سريين؛ لذلك أرى أن الشخص الوحيد الذي يستطيع العمل على إخراجه من مخبئه هو أنت.

أخفضت جفنيها وأجابت :

– لسنا متزوجين حالياً. ولست الآن على علاقة بـ"مارتن".

– لست على علاقة بمحض إرادتك لكني أعلم أنه مازال متمسكاً بك، وسيظل متمسكاً بك دائماً.

التزمت الصمت.

– أترغبين في أن أسرد لك أمثلة عن غيرة "بالدوين"؟ لقد فقدت عقد عمل ممتازاً في "لاس فيجاس"؛ لأنه تسبب لك في مشهد علني عندما هدد بقصف رقبة أحد الرواد. كان هذا منذ عام. أتتذكرين جيداً ؟ ثم حدثان بعد ذلك أستطيع سرد تفاصيلهما. إن الملف في حقيبتي، هل تريدين الاطلاع عليه ...

قالت وقد شعرت بالتخاذل :

– لا.

كان– من البديهي– يحمل ملفا عنها هي أيضاً، كل رجال الشرطة على علم بذلك وهي أيضاً كان ينبغي أن تشك في ذلك.

– دعني وشأني يا سيد "دوناهي"، أنا لا أعرف شيئا عن أنشطة "مارتن"؛ لأني لم أندمج فيها أبداً.

قال بصوت وديع :

– أعلم ذلك. لكن مشروعي سوف يثير اهتمامك. أحضري لي برنامجك للأيام القادمة، وأعدك بأن "مارتن بالدوين" لن يتسبب لك في

أي مضايقات.

ابتسمت مكرهة :

– إنك تبدو مهدداً، ومع ذلك، ووفقا لمعلوماتي، فإن تجارة الاسلحة- وهي محرمة دوليا- لا يعتبر مسموحاً بها من قبل الدولة .

– قد يكون هذا في الولايات المتحدة لكن الوضع يختلف في "سيدي خان" ... بناء عليه فلقد منحني "اليكس" حق التصرف حسبما يتطلب الموقف .

– "اليكس" ؟

– "اليكس بن رشيد" شيخ "سيدي خان" .

– وأنت... أنت ستكون كفيلا بالتصرف مع "مارتن" ؟

– ربما، إني لم أقرر بعد، ومهما يحدث فلن يتسبب هذا الرجل في قلقك. أليست هذه هي رغبتك؟

اعترتها حينئذ قشعريرة :

– ليس على هذا النحو !

أجاب "كلانسي" معترضاً :

– إن "بالدوين" لا يستحق شفقتك عليه. إنه مجرم يسلم قنابل ومتفجرات إلى إرهابيين متعصبين. إنه يعلم تماماً أنهم سوف يستخدمونها في إصابة أوتوبيس أو سوبر ماركت. لقد حدث منذ ستة أشهر أن لقي طفلان مصرعهما في "ماراسيف"، وأن عديدين قد أصيبوا بجراح. أنا لا أستطيع وضع يدي على هؤلاء الأفراد مادام "السيد أبادا" يحميهم لكني أستطيع وقف عملية إمدادهم بالأسلحة. كما أنه في وسعي الإمساك بـ"بالدوين" .

قالت مذعورة :

– عدة أطفال كانوا ضحية هذه الأسلحة ؟!

حك "كلانسي" رأسه بشدة. ثم أردف :

– هل ستمدين لي يد العون يا سيدة "لاندون" ؟

– لا أستطيع .

– إنك تستطيعين لكنك لا تريدين. قد تكونين – إذن- إحدى تلك

السيدات اللاتي يجدن متعة خبيثة في أن يكن مرغوبات من أشخاص في مثل نذالة "بالدوين" ؟ وربما تقومان معا بتمثيل مسرحية صغيرة ؟

– مسرحية ؟! أتعتقد أني أُسَرّ لرؤية عملي الفني ينهار بطريقة مخزية مهما كانت؟! وأن أنتفض كلما سمعت قرعات على الباب خشية أن يكون هو؟! إنك حقا أحمق يا سيد "دوناهي" !

– إذن سلميه لي. اقبلي الانضمام والمساهمة.

نهضت مقشعرة :

– أنا لا أستطيع القيام بمثل هذا العمل!

لقد كان زوجي ذات يوم. وكان لي ابن منه، ومهما أتى من أعمال مخالفة للقانون فلن أخونه أبدا... أبدا بالخط العريض .

أردف "كلانسي" وهو ينظر إليها باهتمام :

– طفل ؟!

شعرت بأنها تشحب وأغلقت عينيها لحظة قبل أن تستطرد :

– هل سقط هذا التفصيل من ملفك ؟

ثم أضافت بمرارة :

– آه! إن الذين يوافونك بالمعلومات لم يروا في ذلك أهمية .

– إني متأكد أن هذا أيضا قد ورد في التقرير. يبدو أني أسرعت في القراءة. ثم فوجئ بصورة جعلته يقبض بشدة على مسند مقعده . كان قد ارتبك أمام فكرة أن هذه السيدة لها طفل من "بالدوين"... بل وقد امتلأ ثورة . قالت :

– يا له من إهمال من جانبك !

ثم اضطرت إلى حبس الدموع التي كانت تملأ عينيها ثم واصلت كلامها بصوت واثق :

– على أي حال أنت ترى كيف أني لا أستطيع الاشتراك معك .

– هل ترفضين ؟

– نعم مع الأسف الشديد؛ لذا وجب أن تتصرف بمفردك. أؤكد لك أنك لن تحصل على أي مؤازرة من جانبي .

– وأنا أيضاً آسف لعدم إمكاني إقناعك؛ لأني لا أحب الالتجاء إلى القوة

إلا في الحالات البالغة الأهمية .

– إلى القوة؟! كيف كنت تستطيع إلزامي بالتصرف على عكس ما أرغب ؟

– يكون هذا دون أن أعذبك. اتعشم ذلك. عندما تفهمين أني أمتلك كل الورق في لعبتي ،أعتقد أنك ستتعقلين حينئذ... ثم مال إلى الأمام:

– إنك ببساطة ستستمرين في الغناء هنا إلى أن يظهر "بالدوين"، وإننا نعلم- كلانا- أنه لابد أن يظهر ذات يوم؛ لذلك يكفيني القيام بمراقبتك والانتظار في صبر تام، وفور ظهوره سنمسك به .

صاحت وهي تهز رأسها بعصبية :

– لكني لن أساعدك! لا بهمّة ولا بتكاسل. إذا كنت تتوقع أن "مارتن" سيهبط إلى هنا فسأنصرف. بالإضافة إلى أنه ليس أمامي إلا سهرتان للإحياء في "باراديز كاي".

– لا. لن أتركك تنصرفين من هنا قبل أن تجيبي، وعليّ الانتظار. إنك أنت الطعم الذي سيجذب هذا الفأر من جحره .

ارتبكت.

– إنك تريد القول بأنك قمت باحتياطات لكي أقيم هنا؟ لكن... كيف استطعت ذلك؟

– إن هذه الجزيرة ملك لـ"سيدي خان"، "أليكس" اشتراها سراً منذ بضع سنوات قبل أزمات البترول. كما أنه ينبغي ألا يعلم "بالدوين" أنك في فم الأسد إلا بعد أن يغلق عليه الفخ .

قالت بنبرة ساخرة :

– مشروع جذاب، آه! كان ينبغي أن أشكّ في شيء ما. إن هذا التصرف كان حقاً إعجازياً بالنسبة لمطربة قد فقدت سرعتها! بالإضافة إلى هذا العرض غير المتوقع الذي قد أبهجني كثيراً !

– ستصلين إلى ذلك. إنك تتمتعين بالعديد من المواهب، وبعد مرورك إلى هنا سأعمل على تقديمك إلى أشخاص قد يسعدهم تسهيل عملك... إذ كم من خدمات قمت بها لمن حولي...

ابتسم.

شعرت "ليزا" بالحمرة تعلو وجنتيها :

– حالياً: هل هو نصب واحتيال بالإكراه؟ لا، شكرا يا سيد "دوناهي".

– أنا لا أقصد ذلك... إني أرغب فقط في مساعدتك .

قالت ثائرة :

– إني لست في احتياج إلى معونتك، سأقلع غداً إلى "ميامي" في أول طائرة.

سألها "كلانسي" بهدوء :

– هل هذه كلمتك الأخيرة ؟

– لن تستخدمني لا أنت ولا أي شخص غيرك .

نهض بعد ذلك نادما من مقعده :

– ليس أمامي الآن إلا تعديل اتجاهي ... أسعد الله مساءك يا سيدة "لاندون". ثم فتح الباب .

– ربما لا يأتي "مارتن" ...

– أتعتقدين ذلك... إنه سيحضر.... ثم التزم "كلانسي" الصمت وكانت عيناه ترسلان إليها نظرات عميقة إلى حد جعل "ليزا" ترتبك.

تمتم قبل أن يغلق الباب خلفه :

– أنا لو في مكانه لكنت أتيت .

الفصل الثاني

عندما حصل على اتصال هاتفي بشيخ "سيدي خان" قال "كلانسي" لـ"أليكس" :

– ربما أحتاج إلى معاونتك لي لدى السلطات الأمريكية .

– "كلانسي" ! من أين تتصل بي ؟

– من ڤيلتي في "باراديز كاي" .

قال "أليكس" وكان صوته يدل على أنه مسرور :

– رائع! هل تتصل بي بشأن "بالدوين"؟ إنك لا تتعرض لمواجهة أي مشاكل: شرطة "ميامي" تبحث عنه بتهمة تجارة محرمة ومحاولة اغتيال .

– إنه ليس بشأن "بالدوين" ولكن بمطلقته. إني أعتزم اختطافها.

تلت هذه الكلمات فترة صمت.

– تختطف مواطنة أمريكية؟ هل أنت متأكد من أن هذا أمر لازم؟

– نعم.

– لأنها تشترك مع "بالدوين"؟

– بالتأكيد "لا"! إنها سيدة... ثم سكت؛ لأنه شعر بأنه يتكلم عنها بنفس الحماس الذي كان يتكلم به "جالبريت" عنها في ملهى الفندق. ثم أنهى حديثه بنبرات عادية:

– إنها بريئة تماماً.

أردف "أليكس" مازحاً:

– إذن أنت تقصد أنك ستأخذ مواطنة أمريكية؟ اسمع يا عزيزي: ألا تهدف إدانة سجينتك الجميلة إلى مصلحة دبلوماسية لـ"سيدي خان"؟

– نعم، لا تهدف.

– على أي حال كما تشاء. امرح جيدا مع سجينتك العزيزة.

– أمرح؟! يا إلهي! إن الوضع يختص بعملية مفروضة لصالحنا... لصالحك وصالح "سيدي خان".

– حقا؟! لكني أشكّ في ذلك. غير أنه في وسعك الاعتماد على معاونتي لك في حالة تعرضك لبعض الصعوبات. أعتقد أني كنت سأختطف "سابرينا" إذا كنت وجدت ضرورة لذلك... وافني بالأخبار!

وفي الحال أخفض "أليكس" السماعة وأعاد "كلانسي" الجهاز إلى وضعه بهدوء... يا له من ذكي هذا الـ"أليكس"! كانا مقربين الواحد للآخر لدرجة أنه لم ينجح في خداع زميله حتى إنه لم يكن يرى ذاته جيداً...

نعم، لقد كان "أليكس" على حق. إن قرار اختطاف "ليزا" كان قد فُرض عليه خلال لقائهما القصير في اللوج الخاص بها. ماذا كانت مشاعره بالنسبة لها؟ إعجاب بنزاهتها مع مزيج من الاستلطاف والغيرة والرغبة... لكن أيضا ثورة بسبب الموهبة التي لديها لإثارته وإغراقه في حالة الارتباك هذه. لم يكذب على نفسه أبدا. لن يبدأ حالياً. حتى إذا كانت "ليزا" لم تشكل الطعم اللازم للإمساك بـ"بالدوين" فسيجد وسيلة الاحتفاظ بها في

"پارادیز کاي". إذن ماذا دهاه؟ لقد مكث طويلا معرضا لمناخ الشرق الأوسط الساحر. كما أنه كان خاضعا لتأثير "أليكس" عليه. آه! كيف يتصرف مع "ليزا لاندون"؟ وجب أن يظهر الوداعة، وأن يتذرع بالصبر إلى أن تعتاد فكرة أنها ملك له... لكن لا... إن "ليزا" امرأة مستقلة إذن؟

بطريقة آلية توجه "كلانسي" إلى الباب ونزل إلى حديقة الڤيلا، وكان هواء الليل يحمل روائح الزهور والأعشاب العطرية. ترى: هل تجد "ليزا" متعة هنا في هذا المكان الهادئ ذي النافورة المصنوعة من الموزايكو وشجيرات الزهور؟ وهل ستُسَرّ أكثر من ذلك في حديقته الخاصة في "ماراسيف"؟

هز رأسه وقد فرغ صبره. ثم بدت علامات الإصرار على وجهه. كان شخصاً ناضجا وليس صبيا مثل "جالبريت". كان رجلا عاملا وليس شاعرا! الوقت الآن لا يحتمل فقد دقيقة واحدة. وجب التصرف بأسرع ما يمكن؛ إذ إن "ليزا" أعلنت أنها ستغادر "پارادیز کاي" صباح اليوم التالي.

بعد ذلك دار على عقبيه وعاد إلى الڤيلا بخطوات واثقة متغافلاً – فجأة – ما كان يشعر به من تعب.

*****

تمتمت "ليزا" وهي تستند إلى شرفتها:

– إنه الشتاء في "نيويورك"!

كان الهواء الدافئ يداعب وجهها وضوء القمر كان يلقي بنوره الفضي على الأمواج التي كانت تختفي بالقرب منها.

كانت "ليزا" تمقت فصل الشتاء؛ لذلك فرحت عند نزولها من الطائرة لمجرد فكرة أنها وصلت إلى المناطق الاستوائية. ترى ما تأثير الحياة طوال العام على جزيرة بعيدة كل البعد عن الشتاء؟

أزاحت "ليزا" – في تكاسل وملل – خصلة شعر كانت تسقط على جبينها، أما ما كانت تجهله فهو أن مدة الإقامة الطويلة في هذه الجزر نادرة جداً؛ لذلك فقد قبلت هذا العرض الذي يتطلب منها الإقامة في "پارادیز کاي"؛ وبالتالي تهرب من برد وثلوج "نيويورك". وهكذا سقطت في الفخ

الذي نصبه لها "كلانسي"، وهل- بسبب غلطة "مارتن" - ستستطيع التحرر من أسر هذا الرجل لها؟ كانت تتخيل أنه سيكون دائماً بالقرب منها ملقيا على حياتها ظلا قاتماً مجدداً عندها ذكريات "تومي"... لا. لا ينبغي أن تحرك مثل هذه الأفكار؛ إذ كانت كلما ابتعدت عن التفكير في هذا الأمر تشعر ببرودة في جزء كبير من كيانها.

فجأة رن جرس التليفون؛ انتفضت قلقة. كانت الساعة تعلن منتصف الليل وهي لا تعرف أحداً من الممكن أن يتصل بها في مثل هذه الساعة.. ما عدا "مارتن"؛ إذ كان يتصل بها- منذ ثلاث سنوات- في أي ساعة من الليل أو من النهار مهما كان مكان عمله، ومن أي بقعة من العالم أينما تواجد! عملت كثيراً على تغيير رقم تليفونها لكن هذا كان عبثاً؛ لأنه كان يعرف كيف يحصل على الرقم الجديد.

غادرت- رغماً عنها- الشرفة ودخلت لكي ترفع سماعة التليفون وهي ترتجف:

- آلو.

كان صوت "كلانسي":

- هل أنت بخير؟

اطمأنت وألقت بنفسها على السرير. قالت:

- أمر طبيعي أن أكون على ما يرام.

- لقد استغرقت وقتاً طويلاً إلى أن أجبت على التليفون.

- كنت في الشرفة. لكن.. ألم يخطر على بالك أنه من الممكن أن أكون نائمة؟

- لم تكوني نائمة.

استطردت:

- ولماذا تطلبني يا سيد "دوناهي"؟ أعتقد أنه لم يعد لدينا ما نتحدث عنه؟

لم يُجبْها في الحال:

- أتتني فكرة بأن أمنحك فرصة أخيرة لكي تغيري رأيك. هل ستتعاونين معنا؟

- لا. يبدو أنك لا تفهم معنى الرفض يا سيد "دوناهي". إن أمتعتي جاهزة، ولقد حجزت مكاناً على رحلة صباح غد إلى "ميامي"؛ لذا وجب عليك البحث عن طعم آخر بعيداً عني.

- إنك الطعم الوحيد النافع لهذه المهمة. هل أخذت قرارك؟

تنهدت وقالت:

- نعم. قررت نهائيا ولن أرجع في قراري. اصرف نظرا عن مشروعك يا سيد "دوناهي".

- لماذا؟ إن العمليات بدأت تأخذ مجراها. وصدقيني: أنا لم أكن أريد للأمور أن تأخذ انقلاب الأوضاع هذا.

أخفض السماعة دون أن يترك لها فرصة في الرد أما هي فقطبت حاجبيها. تضايقت عند سماع آخر كلمات لـ"دوناهي". إن هذا الرجل يربكها بالتأكيد. إنه يتمتع بشخصية متميزة قلّما يقابلها المرء في حياته: كان ذكياً جداً، واثقاً جداً بإمكانياته، وأيضا مكتمل الرجولة؛ فكانت لا تستطيع الاحتفاظ بصفائها أمامه. من حسن حظها أنها سترحل!

نهضت بعد ذلك وتوجهت إلى الحمام. تناولت أنبوبة بها أقراص منومة. ثم ملأت كوباً بالماء. كانت حركة آلية تقوم بها في كل مساء منذ عدة شهور وإن كانت قد خفضت الجرعة إلا أن هذه الحبوب كانت تمنحها نوماً هادئاً خالياً من الأحلام المزعجة.

*****

بالرغم من ذلك حلمت كثيرا لكنها لم تكن الكوابيس التي كانت تخشاها وإنما مناظر غريبة بلا نهاية: يد تقبض على ذراعها، وأصوات رجال تهمس بالقرب منها، ثم كانت تتواجد أيضاً أضواء. ويعود الظلام وتقطعه الأنوار من لحظة إلى أخرى.

- يا إلهي! إنها فاقدة الوعي! لكن المخدر لم يكن سوى مهدئ خفيف. لم يكن ينبغي أن تستهلكه بهذه الدرجة! ما هي الكمية التي حدّدتها لها؟

عرفت "ليزا" صوت "دوناهي"، ولم يكن في ذلك غرابة في الواقع.

وكانت إحدى هذه الصور- التي رأتها في منامها- صورة هذا الرجل الذي قابلته في اللوج الخاص بها لكنها كانت تفضل ألا يبدو ثائراً هكذا .

- لقد أعطيتها الجرعة التي حددتها لي .

ثم أتى بعد ذلك صوت شاب مدافع قائلاً بعد وقفة قصيرة :

- وكيف كنت أستطيع معرفة أنها تتناول منومات لكي تنام؟ لقد وجدنا هذه الأنبوبة في الحمام بعد أن خرجت منه ولكن كان هذا بعد فوات الأوان .

- إني أجهل تماماً إذا كان ابتلاع حبتين مرة واحدة أمرا خطيرا. وجب أن أتصل بمعملنا في "سيدي خان" . اسهروا عليها جيداً، وإذا بدت عليها أقل أعراض ضيق تنفس أو غيبوبة فاتصل بي .

- مفهوم .

ثم بعد ذلك أبواب تفتح أو تغلق. ثم نقطة سوداء. فترة صمت. ثم لا شيء بعد ذلك. بدأ تنفسها يتحسن. الآن ها هم يحملونها. رائحة بها عطر النعناع. إنه اللوسيون الذي يستخدمه "دوناهي" بعد الحلاقة. رائحة ذكية جذابة بنفس جاذبية الذراعين اللتين كانتا تمسكان بها. أطلقت "ليزا" تنهيدة رضا. ثم وضعت رأسها على صدره. كم هو ممتع الاسترخاء بين ذراعين واقيتين لهما قدرة إبعاد الكوابيس.! نعم ذراعان واثقتان .

ودون أن تقدر على فتح عينيها تمتمت بصوت خافت :

- حسناً هكذا !

أردف "دوناهي" بصوت عذب :

- هانت في أمان يا "ليزا" ، ومن الآن فصاعداً لن تلحقك أي مخاوف. ساحميك. ليست حقيقة: ليس هناك من يستطيع إنقاذها من كوابيسها ومع ذلك فهو من باب اللطف أن يعرض عليها ذلك، وأمر رائع أن تتظاهر بتصديقه بعض الشيء .

همست :

- شكراً.

تبعت إجابتها ضحكة صغيرة قوية في أذنها مباشرة .

- آه! آه! إني أتساءل إذا كنت ستعترفين بالجميل عندما تعودين تماماً إلى

رشدك؟

وُضعت "ليزا" بعد ذلك على مسطح رخو مع وسائد. قالت معترضة بصوت ضعيف :

- لا .

- كل شيء على ما يرام. أنا هنا ...

هبطت الحشية تحت ثقل الجسم فاخذ "كلانسي" يديها بين يديه ثم قال:

- ساكون دائما هنا إلى جوارك. لن أدعك ترحلين ،ثم أخذ من يديها إحدى يديه وأزاح بها خصلة شعر من فوق جبينها. ثم أخذت تلاطف شعره .

- نامي جيداً .

- هل ستطرد أحلامي ؟

توقفت اليد لحظة قبل أن تعاود الملاطفة المهدئة :

- إذا كنت تتمسكين بذلك ...

- أوه! نعم من فضلك !

- الآن نامي في هدوء يا "ليزا" .

كادت تصدقه من فرط نعومة صوته المقنع. شعرت بقواها تخونها، ثم عادت إلى فقدان الوعي .

كانت "ليزا" نائمة، وبكل الحذر وباحتياطات بالغة ترك "كلانسي" يدها وابتعد عن السرير، وبناء على ما أعلنه له المعمل: إن "ليزا" لن تعود إلى رشدها قبل عشر ساعات. وبالرغم من ذلك كان متردداً في تركها. كانت تبدو وحيدة. كان شعرها الأشقر الملقى على الوسادة البيضاء حريريا، متموجا، أشبه بشعر طفل. كانت تتنفس ببطء وشفتاها منفرجتان. بالتأكيد كانت لا تشعر بوجوده لكنه كان قد وعدها بحمايتها، بإبعاد الأحلام عنها .

ترى ما عسى أن تكون هذه الكوابيس التي كانت تزعجها حتى في نومها العميق الذي كانت تنامه تحت تأثير المنوم؟ رغب "كلانسي" فجأة في معرفة هذا السبب .

فتح بعد ذلك حقيبته الموضوعة على الكومودينو. كان ملف "ليزا" على الوجه. لقد تصفحه بسرعة قبل الإقلاع إلى "لوس أنجلوس". ولقد أصبح – حاليا– مهتما بعلاقات "بالدوين" بزوجته السابقة أكثر من هذه التفاصيل الشخصية التي كان قد طلب من وكلائه أن يقوموا بجمعها أما حاليا فهو يريد معرفة كل شيء عنها.

جذب بعد ذلك مقعدا بالقرب من السرير وجلس عليه عاملا على الحصول على راحته بقدر المستطاع، خلع حذاءه؛ لكي يضع قدميه على الملاءة بالقرب من "ليزا". ثم استغرق في قراءته.

الفصل الثالث

عادت "ليزا" فجاة إلى الواقع. كانت عينان زرقاوان تفحصانها بانتباه: إنهما عينا "كلانسي". ماذا كان يفعل في حجرتها ؟

قالت وهي تنتصب :

– ماذا تفعل هنا ؟!

كانت تشعر وكأن الحجرة تدور بها، سمعت "دوناهي" يتفوه بأحد الفاظ السباب. جلس على حافة السرير ووضع يديه على كتفيها :

– تمهلي... هل تستيقظين دائما فجاة هكذا ؟

– لا... نعم... لست أدري ...

وكان لسانها ثقيلا مثل الرصاص. لماذا كان هذا الرجل في حجرتها؟

– لكنك... كان لا ينبغي ...

استرخي... استرخي يا "ليزا" !

ثم مددها ووضع رأسها على الوسادة .

– خذي الوقت الكافي حتى تعودي إلى صوابك، وسنناقش الموقف معا بعد ذلك .

أظهر "كلانسي" ابتسامة حزينة. تعمق في مقعده ذي المسندين. تنهد ثم أردف :

– إنها لحظة سوف تأتي قريباً .

– ماذا تفعل في حجرتي ؟

غير أنها– في الواقع– لم تكن حجرتها. لم تكن النافذة أمام السرير، وكان مفرش السرير أزرق وليس ذا خطوط صفراء وبيضاء. كذلك لون الحوائط بيج وليس رماديا فاتحا .

كانت مازالت ترتدي بيجامتها البيضاء لكن لم يبق الباقي كما كان عليه عند دخولها للنوم .

حاولت أن تجلس من جديد وقد اتسعت عيناها من الدهشة والقلق .

مال "كلانسي" عليها وألزمها بالبقاء ممددة وذلك بوضع يديه على كتفيها. ثم وضح لها بصوت هادئ وديع :

– إنها ليست حجرتك. إنك لست في الفندق! إنك في ڤيلا كبيرة تبعد عن الشاطئ بمائة متر، وليس من مبرر لقلقك هذا. إنك هنا في أمان تام.

– ڤيلا كبيرة ؟!

– ڤيلتي .

– ڤيلتك. لكن ما هذا... ثم صمتت عندما تذكرت مواقف الحلم التي كانت قد أزعجت نعاسها. تمتمت غير مصدقة :

– هل اختطفتموني ؟ حقاً ؟

قال ببساطة :

– كان لابد من ذلك؛ إذ يجب عليّ أن أبعد "بالدوين" عن إلحاق الأذى بالناس. لقد شرحت لك هذا قبل الآن.

تمتمت :

– كنت لا أرغب في أن أكون طعما في فخك في الفندق. إذن لقد قمت بنقل الفخ وأنا مازلت الطعم!

– لقد أعلمتك أني كنت أتمنى أن تساعديني. كما أني آسف أن تتخذ الأمور هذا الاتجاه.

قالت ثائرة؛ لأنها كانت قد أفاقت تماماً وأصبحت ترى الموقف بوضوح :

– أنت آسف ونادم ؟! لقد حملتني بكل برود ثم تدّعي أنك آسف؟ لكن هذا العمل يعتبر عملا إجرامياً !

– أعلم تماما. كنت أتمنى أن تواصلي نومك قليلا، وسوف نناقش هذه

الأمور فيما بعد؛ لأني علمت من الأطباء الذين قمت باستشارتهم أنه كان ينبغي أن تنامي من خمس إلى ست ساعات. أخشى أن تكون هذه المؤثرات ضارة بك.

أردفت :

– وهل تريد ألا تربكني بهذه المواقف؟ ربما يكون الاختطاف أمرا عاديا في نظرك لكنه لا يتلاءم مع نمط حياتي..

أضافت بعد ذلك وهي تصعقه بنظراتها :

– لم يختطفني أحد قبل الآن يا سيد "دوناهي" !

– لست معتادا أن أخطف الناس من الشوارع يا سيدة "لاندون".

– حقا؟ إذن وجب عليّ أن أشعر بأن نقلي هذا يعتبر تدليلا أو إطراء؟

أبعدت عنها يديه وحاولت مرة أخرى الجلوس على السرير:

– إني متحاملة عليك حتى الموت.

أجاب بجفاف :

– أرى ذلك. وكان من المفروض أن أتوقعه... أكرر أسفي، لكن عليك أن تعتادي الوضع: أن تعيشي هنا حياة مستقرة بقدر المستطاع، وأن تبقي إلى أن يظهر "بالدوين".

– هذا لا !

نزلت من السرير واندفعت نحو الباب المغلق غير أن ساقيها لم تحملاها؛ كانتا مرخيتين .عجزت عن المقاومة، وكان كل شيء يدور من حولها؛ فسقطت على ركبتيها على السجادة الفاخرة شرقية الصنع.

تفوه "كلانسي" ببعض كلمات السخط وذهب إلى نجدتها :

– ما الذي حدث لك ؟!

قال لها هذا وهو يرفعها بين ذراعيه وهي تتقوقع على نفسها.

هكذا فكرت في أسى وهي تغلق عينيها: "دائما هذا العطر الذي برائحة النعناع!"

– "ليزا". وجب أن تستلقي بعض الوقت؛ إنك مازلت تحت تأثير المنوم، ستتنزهين في الڤيلا فيما بعد إذا شئت.

– عملت على تصحيح الأقوال بالرغم من التشويش الذي كان يلحق

بذهنها :

– لن أتنزه؛ لأني سأهرب.

وضعها على السرير :

– كان لا ينبغي أن تتناولي هذا النوع من الحبوب؛ كنا نجهل ذلك عندما أعطيناك ملطفا خفيفا. إنه الـ"كوكتيل" الذي أتى بك إلى هذه الحالة.

– إني محتاجة إلى هذه الحبوب... وهذا أمر لا يخصك.

فزع "كلانسي" :

– أتعتقدين ذلك؟ بدءا من الآن فإنك تحت مسؤوليتي. لقد حان الوقت لكي يعتني بك أحد.

أردفت في إلحاح وكانت مازالت عاجزة عن فتح عينيها :

– لكن... لكني أريد حبوبي !

– لا. سوف نجد لك شيئا آخر.

ثم رفع الغطاء على جسمها النحيل حتى كتفيها. قال وهو يميل عليها :

– اسمعيني: أعلم أنك ثائرة وأنه رد فعل طبيعي، ولو كنت مكانك لكان سيصبح هذا وضعي ،لكن وجب يا "ليزا" أن تواجهي الموقف. ستجدين أنك إما ضيفتي، أو سجينتي. لك الخيار. إن الڤيلا تقع على شاطئ خاص. في وسعك الصراخ، ولكن لن يسمعك أحد. هناك– في كل مدخل– رجال يقومون بالحراسة على الدوام، وإذا ما توصلت إلى ضربي حتى الموت أو قصف عنقي –كما تتمنين مما لا شك فيه– فعليك بعد ذلك التصرف مع أولئك الحراس.

فتحت عينيها. انتصب "كلانسي" وواصل حديثه :

– لقد أحيط طاقم الفندق علما برحيلك المفاجئ. لقد وقعت المطربة "ليزا لاندون" في حب ملياردير من رجال البترول "پول ديموند". وأشار بيده إلى نفسه :

– أنا! ولقد أتينا إلى عش حبنا هذا؛ لكي نحتمي فيه بعيدا عن عيون الفضوليين، وقريبا سأصطحبك إلى قصري في "تكساس". وهذا ما سيدفع "بالدوين" إلى اللحاق بك بأسرع ما يمكن.

قالت بصوت ضعيف وهي تغلق عينيها :

– لا .

– إن "لا" هذه تؤخذ على أنها اعتراض على الطريقة التي أنفذ بها خطتي ، ولكن ليست عدم موافقة على الجوهر . . أليس كذلك؟ إن كلينا يعرف أنه سيحضر يا "ليزا" . . . إن غيرته عليك تصل إلى حد الجنون .

رفعت "ليزا" جفنيها بعد عناء كبير وقالت :

– لن أمكنك من القيام بذلك . سأرحل يا "دوناهي" .

هل كان ذلك من وحي خيالها أم كانت تشعر حقا بأنه يبعد خصلة شعر من على جبينها ؟

– لقد فات الأوان يا "ليزا" . لن أدعك ترحلين أبدا . . . أبدا .

الفصل الرابع

عندما استيقظت "ليزا" من جديد اكتشفت أن الجالس عند قدميها رجل بعيد كل البعد عن جاذبية وتأثير "كلانسي" . كان أصغر منه سنا، وأكثر شبابا . كما أنه كان في رداء عبارة عن: قميص من "هاواي" وچينز وصندل كسائر سياح الجزيرة .

ابتسم لها في رقة :

– صباح الخير يا سيدة "لاندون" ، أنا "جون جالبريت" ، أتمنى أن تكون حالتك أحسن الآن .

تمتمت وكان التعاس مازال يغلب عليها :

– أشعر بتحسن كبير .

صاح حينئذ وقد استنار وجهه . وجه المراهق :

– أوه! إن "كلانسي" شخص حاد المزاج . لقد اتصل هاتفيا مرة أخرى بالمعمل؛ لكي يلومهم على عدم تحديد رد الفعل عندك للمنوم بدقة .

ثم قام بعد ذلك بحركة مضحكة :

– كنت أفضل أن يسبهم وليس أنا! كدت أنتحر أثناء وصولي إلى هنا عندما وجدتك على هذا الحال وأنت في شبه غيبوبة .

كان لهذا الاعتراف – بالاشتراك في الانتزاع الصادر من شاب ظريف – أثر قوي أعادها تماماً إلى الحقيقة .

– إنه أنت الذي حملتني ؟

أجاب ساخراً :

– إني أتمتع بكل الصفات اللازمة للقيام بهذا النوع من العمليات الرقيقة .

انتصبت "ليزا" في سريرها . كانت تعاني الآن ألما خفيفا في رأسها لكن لا أثر للدوار الذي كانت تشعر به عند يقظتها السابقة .

– إنه عمل إجرامي يا سيد "جالبريت" قد يعرضك إلى الذهاب إلى السجن لفترة طويلة .

قال بصوت وديع :

– لا، لن أذهب؛ لأنه إن لم يكن "كلانسي" قد قام بكل الاحتياطات اللازمة لما كان كلفني بهذه المهمة . إنه يحمي رجاله !

– لكنه سيدفع الثمن غاليا هذه المرة؛ لأنه قام باختطاف مواطنة أمريكية .

– إني أقدر رد الفعل عندك يا سيدة "لاندون" لكنك تخطئين باعتراضك على رغبة "كلانسي" . إنه لا ينوي الإساءة إليك ولا إلحاق أدنى ضرر بك . . . ومع ذلك لن يدعك تنصرفين إلا بعد ظهور "بالدوين" في "پاراديز كاي" . أنصحك بتقبل الموقف؛ إذ إنك بمقاومتك ستعانين الكثير؛ لأنه أكثر الرجال صلابة وإصراراً . ليس هناك من يتصدى لإرادته . هانذا أكرر لك هذا ناصحا ومحذراً .

– لا تعتمدوا على وداعتي !

ثم بحركة عنيفة – وقد امتلأت ثورة من تصرفات "دوناهي" الإجرامية – دفعت بالملاءة التي كانت تغطيها :

– ليس فقط أني سأتصدى له . . . لكني أيضا سوف أحطم عمله! ولكن بعد أن أنهي موقفي معك . وألقت إليه نظرة قاسية بعد ذلك .

– أنا لست أدنى من "كلانسي" ، لكن لا تظني أني سأمكنك من التصرف . أراك شاحبة وأعتقد أنه ينبغي أن أعطيك شيئا للأكل . وجب أن

أحضر لك طعاما؛ لأنك لم تتناولي شيئا منذ حوالي أربع وعشرين ساعة .

ثم نهض وهو يقول :

– ساذهب إلى المطبخ لكي أرى ما يمكن إحضاره لك . ستجدين ملابس في الدولاب وأدراج الكومودينو .

اتجه بعد ذلك نحو الباب :

– الحمام هنا على اليمين . . والآن سأعلن "كلانسي" بأن حالتك أحسن الآن . . . ثم التفت وهو على عتبة الباب . وأردف :

– سأعود بعد لحظة ومعي عشاؤك .

العشاء! أدارت "ليزا" رأسها تجاه النافذة فرأت السماء وقد غطتها أشعة الشمس : شمس الغروب الحمراء . لابد أنها قضت يومها غير واعية وهو الأمر الذي كان قد أثار قلق "كلانسي" ! من البديهي أنه خشي أن يُتهم باختطاف واغتيال . وبالتالي لابد – بعد ذلك – من العقوبة، لن يفلت من القانون! ستعمل على الإمساك به بعد خروجها من هنا . ليس فقط الإمساك به بل محاكمته أيضاً .

الباب . . النافذة! بدون تفكير انتهت "ليزا" من دفع الملاءة ونزلت من السرير . كانت تشعر بتحسن ملحوظ؛ إذ إن خطواتها أصبحت ثابتة، لم تتعثر بعد . كانت حجرتها في الطابق السفلي والباب كان يطل مباشرة على الحديقة . دفعت بالضلفة دون صوت واندفعت مجازفة إلى الخارج .

وبينما هي تتقدم لسعتها حرارة بلاط الحديقة الساخن الذي كانت تسطع عليه الشمس طوال النهار . غير أنها تجنبت الذهاب إلى باب الڤيلا الكبير . كان "دوناهي" قد تباهى أمامها بأنه عيّن حراسا على كل مدخل لكن لم يشكّ أحد أنها قادرة على تخطي حاجز يبلغ ارتفاعه مترين وخمسين سنتيمترا . كان الحائط مغطى بنباتات ذات عطر ذكي . بدأت تشعر بدوار، لكن الخوف كان يمنحها بسالة وإقداماً . تسلقت الأغصان وكان وزنها – مع أنه خفيف – يسقط بعض الأحجار . هذا لا يهم: سيكلف "دوناهي" الجنايني بإصلاح ما تتسبب فيه من تلف .

وعند وصولها أعلى الحائط توقفت لكي تلتقط أنفاسها . . . ثم ها هي لم تجرؤ على التنفس عند رؤية الرجلين القائمين بالحراسة هناك على بعد أقل

من خمسة أمتار . لحسن حظها كانا يدخنان معطيين ظهريهما لها . تفحصت الأرض أسفل الحائط، بالتأكيد سيعمل صوت الأمواج على كتم الصوت الذي سيصدر من وقوعها على الأرض .

تمتمت صلاة حارة قبل أن تنطلق نحو الحرية . هبطت دون أن تشعر بأي ألم ولا أن يلحق بها أي أذى . كذلك عملت على ألا تلتفت لترى إذا كانت مراقبة، ودون الالتفات إلى ما كانت تشعر به من حرقة في رئتيها وركبتيها المرتجفتين .

كانت ناطحة السحاب – التي كان فيها الفندق – تبدو في الأفق . وكأنها اطمأنت لمنظره الذي طالما اعتادته : إذا وصلت إلى هناك ففي إمكانها الاتصال بمعونة أحد نزلاء الفندق الأجانب، حتى لو كانت أغلبية أفراد طاقم الفندق تخضع لأوامر "دوناهي" . شعرت بألم شديد في كعبها الأيمن عندما وضعت قدمها على قوقعة لكنها لم تبال برؤية القطع الذي تسببت لها فيه .

– "ليزا" ! اقتربي !

كان الصوت قريبا . إنه "دوناهي" ! أسرعت في الجري لكي تهرب منه، وكان قلبها يخفق بقوة إلى حد يجعله يعتصر .

– توقفي يا "ليزا" . لن ألحق بك ضرراً . . . كانت تجري بسرعة على الرمل الناعم بقدميها العاريتين . كان "كلانسي" يسيطر على الأرض . كان الفندق يبدو قريبا منها . آه لو تمكنت من التغلب على آلامها والاستمرار في العدو !

تمددت بطولها على الشاطئ؛ لأنها فقدت توازنها إثر ضربة في ثنايا ركبتيها . فقدت بعد ذلك النفس القليل الذي كان عندها، وراحت في شبه غيبوبة . شعرت – بعد ذلك – بأنها أديرت على ظهرها وأن ساقين قويتين سمرتاها على الأرض . حاولت – بذهنها – أن تقاوم لكنها عوقبت في الحال : رفعوا لها ذراعيها أعلى رأسها ثم ضموا معصميها بأساور حديدية .

جاء صوت "دوناهي" آمراً :

– توقفي إذن! هل أنت عاجزة عن الاعتراف بأنك مهزومة؟ لقد فهمت

أني مسؤول عن وضعك تحت الرقابة منذ أن اتصل بي "چون" وأخبرني أنك استيقظت، وبعد ذلك حضرت في اللحظة التي كنت معلقة فيها على الحائط مثل النورس.

– لست مهزومة .

أخيرا تمكنت "ليزا" من النطق بهذه الكلمات في تمتمة ضعيفة؛ إذ كانت وطأة آلام رئتيها قد بدأت تنخفض. حاولت بعد ذلك رفع إحدى ساقيها حتى تصيبه بضربة ركبة لكن "كلانسي" كان ثقيلا جدا :

– لن أهتم ولن أنزعج بسببك يا "دوناهي" !

تمتم :

– وأنا الذي كنت قلقا لأجل رقتك منذ بضع ساعات. مع ذلك كان ينبغي أن أعلم أن السيدات من هذا النوع يحتمل أن يكن خطيرات !

– اتركني! اتركني !

كانت تردد ذلك وهي تحاول –عبثاً– أن تحرر معصميها لكنه كان يمسك بها جيدا.

– آه! سوف أريك كم أنا خطيرة. ساقتلك يا "دوناهي" !

– لقد كشف لي "چون" عن نياتك ...

استطردت :

– شريكك في الجريمة ذو التفكير الصبياني. على الأقل كان هذا الشاب أذكى منك؛ لأنه فهم أني أعرف تماماً ما أقول .

– إذا كانت عنده ذرة من الذكاء لما تركك في حجرتك بدون رقابة أما أنا فقد كنت أخشى أن ترتكبي حماقة مثل التي قمت بها الآن عندما تعودين إلى صوابك .

– حماقة؟! أتجد أن السعي إلى الهرب يعتبر حماقة ؟

– أفهم أنه من الغباء والحماقة أن يقاوم المرء أمرا مفقودا يا "ليزا" . إنك تقاومين عبثا. لن أتركك تهربين أبداً .

أحست – بشيء من التشويش– بما كانت قد شعرت به عندما سمعته يتكلم قبل الآن . غير أن هذا لم يكن له نفس التأثير عليها...

عملت بعد ذلك على طرد هذه الفكرة من ذهنها. لابد أن خيالها يلعب

بها. إن لم يكن كل هذا من تأثير هذا المنوم الملعون الذي أوصوها بتناوله.

قالت ملحّة :

– سأتوصل إلى الهرب بأي وسيلة. إن لم يكن الآن فسيكون ذلك فيما بعد .

– "ليزا" ..

ثم تعمقت العينان الزرقاوان في عينيها، تنفست بسرعة ثم شعرت بحرارة تحتويها بأكملها. اختفى غضبها لكي يحل مكانه تأثير جديد. أيقنت– حينئذ– قدرة الجسم الكبير الذي كان يسيطر عليها. كم كانت ضعيفة بالقياس إلى قدرته !

خفق قلبها وكأنه من الخوف. غير أنه لم يكن خوفا الذي كانت تشعر به. كان صدرها يرتجف تحت بيجامتها الستان البيضاء.

قال لها "كلانسي" بصوت أجش :

– لا تحاولي المقاومة .

ثم لمحت شريانا ينبض في عنقه القوي. قال :

– إني لم أسئ إليك أبدا. ألا تعلمين ذلك ؟

تمتمت وهي تغلق عينيها هربا من نظراته الحادة :

– أنا لا أعرف شيئا عنك .

فهمت في هذه اللحظات أنها كانت مخطئة. الآن وقد أصبحت لا تراه. ها هي تشعر بتأثير عطره عليها ولمسة يديه...

فتحت عينيها لكي تقع تحت تأثير نظرات عينيه المليئة بالرغبة. قالت وهي تتنهد :

– أنا لا أريد معرفة شيء عنك .

– أعتقد أنك تكذبين .

وكان يلاطف معصمها بإبهامه في منطقة النبض الحساسة برقة ملموسة؛ شعرت "ليزا" وكأن شرارات كهربية تسري تحت جلدها. "ليته لا يتحقق من تأثيره عليّ !" هكذا كانت تفكر "ليزا" .

ثم أعلن لها "كلانسي" :

– أعتقد أنك تشعرين بما أشعر به أنا أيضا. على الأقل على الإطار

الخارجي. كما أني متأكد من أنك ترغبين في معرفة كل شيء عني يا "ليزا".

– لا. أنا...

– عرفت. وبم يفيد إنكار الواقع ؟

إنهما ليسا طفلين – بعد– يجهلان أمورا عن الحب.

ثم أضافت بسرعة :

– هذا لا يعني شيئا. اتركني. حرريني يا "دوناهي"، لم يكن هذا سوى رد فعل عادي.

– نعم ساتركك ...

وعندما نظرت "ليزا" إلى عينيه كانت تتوقع أنها سترى فيهما نظرات الانتصار لكنها رأت فيهما مزيجاً من الإعجاب والرغبة.

– كم أنك جميلة !

قالت مذعورة :

– لا !

ثم عمل "كلانسي" – مرغما – على إبعاد نظره عنها. أردف :

– لا تخافي مني ! يا إلهي! لا! لن أقترب منك ولن أرغمك على ما لا ترغبين القيام به إ ،نما أريد أن تشاركيني نفس الإحساس.

هزت رأسها :

– شيء غير معقول! أتريد ألا أخافك وقد حملتني على غير وعي مني!

نهض "كلانسي"، مد يده لها لكي يعاونها على النهوض.

سألها بابتسامة ضعيفة :

– لم تخافين؟ أشعر بأنك ترغبين فيّ يا "ليزا". سأنتظر حتى تكوني مستعدة... لقد اعتدت الصبر عندما أرغب في الحصول على شيء ما.

أمسك بكوعها ودفعها ببطء في اتجاه الڤيلا.

قال بعد ذلك بصوت عذب :

– ألا تفكرين في العودة إلى المنزل؟ إننا في احتياج إلى التحدث معاً.

بطريقة آلية نظمت خطوتها على خطوته. لماذا لم تتصد له؟ كانت يده الكبيرة تكاد تكون رقيقة بالرغم من قوة قبضتها. فكرت "ليزا" في انتظار

فرصة أفضل للهرب، وكانت قريبة من النجاح. ستتوصل إلى ذلك في المرة القادمة.

– أمر عجيب. كم أنك وديعة ! لقد أصبحت هادئة فجأة. لابد أن تكون حالتك قد تحسنت. أليس كذلك؟

أجابت وهي تنظر أمامها :

– أنا لست وديعة. وأنا أيضا صبور جدا عندما أرغب في بلوغ أي غاية.

ضحك :

– كان ينبغي أن أشكّ في ذلك، لأنك منذ النظرة الأولى قد ظهرت لي بمظهر الرقة والوداعة. من كان يتوقع أن فيك ذئبة تتربص خلف هذا الحمل الوديع الذي تستترين خلفه ؟

اقشعرت من الدهشة. نعم، كانت "ليزا" تحتفظ بوداعتها حتى في أكبر لحظات سعادتها لكنها تغيرت منذ دخول "دوناهي" إلى اللوج الخاص بها؛ إذ أصبحت تتصرف بعاطفة. عاطفة تكاد تكون ملتهبة. كانت– في الماضي– لا تعرف الخوف أو الثورة أو الرغبة على هذا النحو. فكان لذلك أثر على مزاجها.

تضايقت عندما اكتشفت أن هذا الغريب استطاع إيقاظ هذه المشاعر عندها.

سألها وهو يتفحصها بانتباه :

– ما الذي يضايقك؟ أهي كلمات تفوهت بها أم أني قد جرحتك؟

– لا.

عملت على عدم الالتفات نحوه :

– ما الذي تراه كفيلا بمضايقتي مما قلته يا سيد "دوناهي"؟ إن أفكارك وأساليبك لا تؤثر عليّ !

ازداد ضغط أصابعه على كوعها. ثم صاح :

– كم أن كلماتك جارحة! حاولي أن تهدئي حتى نتمكن من تناول حديث صغير جيد في الڤيلا !

وكان "جالبريت" والشابان ينتظرونهما أمام الباب، وكانت "ليزا" تتقدم وقد بدت مغتمة.

أردف "جالبريت" وهو يفتح البوابة الثقيلة :

– أن تهربي بهذه الطريقة ليس لائقا أبدا من جانبك يا سيدة "لاندون".

ثم ابتعد لكي يتركها تمر هي و"دوناهي" :

– كنت أعتبرك سيدة ضعيفة بلا دفاع، وليست مزاحمة لـ"طرزان" الذي يتسلق الأغصان! لقد وضعتني في أقذر موقف .

تدخل "كلانسي" في الحال :

– بالضبط. لقد أثبتت غباءك وإهمالك يا "چون". إني أود إعادتك إلى "سيدي خان". قد يكون أي شخص مستجد أكثر حذراً منك... ثم أضاف مشيرا بأصبعه إلى الحارسين الواقفين بالقرب من الباب :

– في الانتظار. عليك بتبديلهما. وحاول إيجاد رجال – على هذه الجزيرة – يكونون قادرين على استخدام عيونهم!

ثم اصطحب "ليزا" إلى حجرتها :

– كما أني معتمد عليك للقيام بالحراسة هنا. مفهوم ؟

حك "جالبريت" رأسه :

– أنا لا أستطيع تغيير الرجلين قبل صباح غد. أتمنى ألا تلحق بنا –في هذه الليلة – هذه الأمطار الاستوائية الظريفة !

– ربما تساعدكم هذه الأمطار على تلطيف أفكاركم ! إن التصرف بمظهر المراهق يعتبر– في مهنتنا هذه– ميزة لكن التصرف مثل تلميذ مدرسة أو كلية فهو مظهر انتحاري. ثم أعاد غلق الباب على "ليزا" دون الالتفات إلى الحركات التي كان يقوم بها "جالبريت" التعيس.

ثم ختم كلامه :

– سيعرف كيف يراقبك ولا يُسمح لك بالنزول إلى الحديقة إلا بإذن منه.

نظرت إليه "ليزا" دون أن تنطق بكلمة. اخترق الحجرة ثم التفت وابتسامة فاترة على شفتيه. قال :

– أما بالنسبة لي فسأمكث في طرف الدهليز الآخر. كما أني أكثر حذرا من "جالبريت". إني أعرفك أكثر .

– إنك لا تعرفني بتاتاً .

– اتخذي الحذر... إني لا أعرفك الآن ولكني سأعرفك بعد فترة من الزمن لكنها تعتبر بداية طيبة.

فتح الباب ووقف على العتبة :

– في انتظار أن أحضر لك طعاماً في إمكانك أخذ دش يخلصك من الرمال، وإذا وجدت أنك غير قادرة على ذلك ففي إمكاني مساعدتك. إنها الخدمة التي أستطيع دائما تقديمها إلى السيدات اللاتي أنتزعهن .

ثم أغلق عليها الباب بصوت عال.

وقفت لحظة تنظر إلى الباب . بدأت تنزعج لهذا التغيير المفاجئ من جانب "دوناهي"؛ لأنه انقلب من التهديد إلى الحساسية المصبوغة بروح الدعابة .

تمتمت وهي تهز رأسها :

– ياله من نموذج عجيب !

اتجهت نحو الحمام وخرجت منه وقد استعادت نشاطها بعد الدش الذي أخذته. ارتدت بنطلونا أبيض واسعا و"تي شيرت" ذا كمين طويلين، وهذا ما اختارته من الملابس الموجودة بالدولاب. ثم رفعت شعرها في شينيون، وبعد ذلك وقفت تتأمل نفسها في المرآة.

قالت لصورتها :

– إن أقل ما يمكن قوله هو: إن هندامي ليس به ما يحرك !

ارتدت حذاءها الأبيض وسارت نحو الدهليز، وقبل أن تخرج توقفت برهة. وقفت لكي تتخذ وجها باردا وعدائيا في نفس الوقت؛ بذلك سيفهم "دوناهي" أنها لن تسمح له بأن يحتفظ بها سجينة في هذا المكان أما المشكلة فكانت تكمن في أن البرود والعداء لا يتلاءمان مع شخصيتها، وكان هذا هو سبب فشلها مع "مارتن"؛ إذ كثيرا ما كانت تظهر بمظهر الدعة والرقة فكان "مارتن" يستغل ضعفها أما "دوناهي" فقد كان يجهل هذا الطابع.

وفي البداية لن تنتظر حتى يعود؛ لأنها هكذا ستدفعه إلى موقف القوة. عليها بالمبادرة. أدارت المقبض.. الباب لم يكن مغلقا بالمفتاح!

الفصل الخامس

أخذت "ليزا" تتجول في الفيلا تبحث عن "دوناهي"، دهشت لما شاهدت من: سجاجيد شرقية فاخرة، أثاث غالي الثمن، ديكورات ذات ذوق رفيع. غير أن كل هذا كان لا يتناسب مع ذوقها.

كان "دوناهي" في المطبخ الـ"إكسترا مودرن". مصغيا ومراقبا: سمعها عندما اقتربت.

أحست حينئذ بتعاطف معه متسائلة عن عدد السنوات التي قضاها معرضا للخطر حتى يعتاد اليقظة بهذه الدرجة في كل الظروف. قالت:

– لم تكن لي نية مباغتتك. لقد قلت في نفسي: إنه يمكننا التحدث منذ الآن.

– أنا لم أكن في انتظارك. اجلسي... ثم أشار لها إلى ركن المائدة المعد في المطبخ، وكان على طراز البار به مقاعد عالية.

– لقد أعددت لك سلطة الزعيم وساندويتشات وشرائح طماطم ومخللا. أترغبين تناول قهوة أم لبن؟

– قهوة.

ترددت لحظة قبل الجلوس. كان "دوناهي" يعاملها كضيفة؛ فكان هذا يجعل أي تصرف شرس– من طرفها نحوه– صعباً بل مستحيلاً.

– لو كنت تركتني أعود إلى الفندق لما حمّلت نفسك كل هذا العناء.

– إنه من أبسط ما يمكن مع زجاجة مشهيات جاهزة!

ثم وضع أمامها السلطة والساندويتش:

– تفضلي ساحضر القهوة حالا.

وعاد بعد ذلك حاملا ترمسا وقدحين.

– إني معتاد... أتعشم أن تناسبك.

– شكرا.

كانت تنظر إليه بفارغ الصبر وهو يصب القهوة في القدحين:

– في الحقيقة أنا لست جائعة. أفضل أن نتناقش معا الآن.

– كلي! تناولي طعامك وسنتكلم بعد ذلك؛ لأنك محتاجة إلى كل

قواك.

قذفته بنظرة، ورفعت القدح إلى شفتيها؟

– كنت تقول: قهوة ثقيلة بعض الشيء؟ أنا لم أشرب مثل هذه القهوة الأسكتلندية.

قطب حاجبيه وتذوق:

– آسف، في الواقع أكرر أسفي؛ لأني أحاول السهر منذ أربع وعشرين ساعة لذلك اضطررت إلى تكثيف الجرعة أكثر من المعتاد.

– ألم تنم الليلة الماضية؟

– ولا التي قبلها... لقد نعست قليلا في الطائرة التي أقلتني إلى هنا.

أمسك حينئذ بقدح "ليزا" وصبه في حوض المطبخ.

استطرد وهو يتجه نحو إبريق القهوة الكهربائي:

– سأعد لك قهوة قابلة للشرب.

– لماذا؟

– ماذا تقصدين؟

– لماذا لم تنم طوال هذه الليلة؟ في الوضع الذي كنت فيه كنت لا أستطيع المخاطرة بالهرب!

أجاب ببساطة:

– كنت قد وعدتك بالسهر عليك. كان يبدو عليك أنك لا ترغبين في البقاء بمفردك عندما وضعك "جون" هنا.

حنت لكنها عملت على إخفاء ذلك. قالت وهي تخفض عينيها على طبقها:

– إنها لمحة طيبة بالنسبة لرجل يمارس مهنتك. لكن ألم تخش أن تفيض روحي بين يديك وبالتالي تضطر إلى الدفاع عن نفسك في تهمة جريمة؟

– لا يا "ليزا". لقد أخبرتك بالحقيقة. صدقيني: كان أمراً طبيعياً أن أقلق على صحتك بالرغم من تصريحات المعمل المطمئنة. لاسيما أنك لم تخضعي للأعراض التي كانت متوقعة. لقد استيقظت قبل الوقت بكثير.

ثم وقعت ثانية في سبات عميق.

وبينما كان "كلانسي" يعد القهوة أثناء الحديث. التفت نحو "ليزا"،

تلاقت نظراتهما، اقشعر بدنها؛ إذ رأت الرغبة بادية في عينيه الزرقاوين المعبرتين. شعرت أيضا بانهيار داخلي. فكانت تجد في النظر إلى طبقها مهربا من مواجهة نظراته والوقوع في حب هذا الرجل، وكان "دوناهي" قد أبعد نظره قبلها. دمدم :

– إنك لا تتناولين طعامك. سنتحدث فيما بعد.

وإذا كانا قد التزما الصمت في الدقائق السابقة إلا أن الرسائل الصادرة من أعينهما كانت أوضح من مياه الصخور.

انتفضت "ليزا" من الخجل لكنها أوعزت ذلك إلى أنه كان يقدم لها القهوة دون أن تنتبه، وأنه يوليها عناية خاصة.

قالت بصوت مخنوق :

– موافقة. ساتناول طعامي يا "كلانسي".

قالت في نفسها وهي تستجوبه بنظراتها: "ليته لا ينتبه".

حك رأسه بشدة وأردف :

– وأنا أيضا لقد اعتراني نفس الإحساس.

توجه "كلانسي" بعد ذلك لإحضار الصينية والأقداح قائلا لها :

– الصالون عن اليسار.

– حسنا جدا.

أسرعت "ليزا" في الخروج. اختارت الجلوس على مقعد منفرد وليس على الأريكة، وعملت على الظهور بمظهر جاد.

لكن... كان جهدها غير مُجْدٍ؛ لأنه في اللحظة التالية مد "دوناهي" يده لها بقدح القهوة وجلس تحت قدميها رافعا الكلفة.

ثم دمدم وهو يتأملها :

– إني أرغبك بشدة يا "ليزا".

كاد قدح القهوة يسقط من يدها عند سماع هذه الكلمات. قالت:

– أنا لم أقصد التحدث عن هذا الأمر.

– إنه الشيء الوحيد الذي يهمني... لكن بالعودة إلى وضعك هذا فاعلمي أني لن أتركك ترحلين قبل ظهور "بالدوين" في الجزيرة...

علت شفتيه بعد ذلك ابتسامة حارة معبرة عن طيبة فائقة :

– انتهت المناقشة الآن يا "ليزا". ما رأيك في أن نذهب للنوم حاليا ؟

أجابت وقد بدا تنفسها ضعيفاً :

– أنا لا أنكر الجاذبية التي أشعر بها نحوك يا "دوناهي"، لكن...

قال مصححا وهو يعمل على النظر إلى عينيها :

– "كلانسي". أريد سماعك وأنت ترددين اسمي من فضلك.

– "كلانسي".

حينئذ كانت مكافأتها ابتسامة عذبة من "كلانسي".

أخفضت رأسها على قدحها الفارغ من فرط تأثرها.

قال وهو ينهض برشاقة :

– لكنك لا تفهمين !

خلصها من قدحها وأمسك بيديها وأضاف متحمسا :

– ليس هذا هو المقصود. لأني حتى إذا لم أكن على حق باستخدامك كطعم لجذب "بالدوين" إلى هنا فقد وجب علينا –كلينا– أن نتخلص منه. أولا: لأنه يتسبب لك في التعاسة المطلقة. قاطعته

– نتخلص منه؟! تقصد...

هز رأسه...

– كنت أتمنى ذلك جيدا لكنه ليس بالأمر السهل! لأني إذا عملت على إلغاء زوجك الأول فسيتسبب ذلك في إضفاء جو قاتم على حياتنا.

– زوجي الأول !

هكذا رددت "ليزا" دهشة.

ابتسم :

– نعم. الأول، وأنا ساكون الثاني. إننا سنتزوج.

– إنه جنون !

– إني متفق تماماً معك في الرأي.

– إننا لم نعرف بعضنا البعض جيدا حتى الآن.

– من السهل معالجة ذلك.

– مستحيل! إنه مزاح !

وشحبت "ليزا تماما.

– إنه مزاح وأنا ضحيته. أنا لست صبيا. لابد أنك تجدين أنه من السخف أن يقع رجل في الحب بنفس حماس شاب مراهق... لكن مع ذلك هذا ما حدث لي بالضبط.

رفع راحة يدها إلى شفتيه وقبلها برقة... ثم ناظرا إلى عينيها أعلن لها بصوت عذب :

– إني أحبك يا "ليزا لاندون" وبحرارة وبكل ما يصاحب الحب من أعراض: إني أشعر بالغيرة. آه! الآن تستطيعين أن تضحكي! أعلم تماما أني أبدو مضحكا.

– ليست لي رغبة في الضحك.

ثم تمتمت :

– هل فكرت فيما تقول ؟

– بالتأكيد. ليست لي عادة الكذب.

– أنا لا أريد أن أتزوج. لن أتزوج أبدا.

قال بنبرة حانية :

– وأنا لن أرغمك على هذا. أمامك الوقت الكافي حتى تعتادي هذه الفكرة. لقد اعتقدت أنه من الأفضل أن أصارحك في الحال؛ لأنه من الممكن أن يزداد الموقف تعقيدا دون أن تعرفي نياتي.

هزت "ليزا" رأسها وعمقت النظر في عينيه :

– لن أتزوجك يا "كلانسي". أنا لا أحبك.

– أنا لم أتوقع أنك ستحبينني؛ إذ إنه من الصعب احتمال أن تصعقنا هذه الضربة في آن واحد. لكنك ترغبين فيّ.. لا تنكري.

أخذ يقبل أطراف أصابعها؛ شعرت بقلبها يخفق فصاحت :

– توقف يا "كلانسي"! أنا لست ممن يقعن بين ذراعي أول طارق.

– أعرف ذلك تماما، وهذا واضح في ملفك. ليس لك محبون منذ طلاقك. صدقيني: إنه بعد أن تحققت من حبي لك ازددت ارتياحا بعد الاطلاع على هذه المعلومة.

– يالله من ملف ملعون! إنه تجسس على حياة سيدة!

– سأطلب من "أليكس" أن يرسل لك ملفي. بذلك نتعادل، أترغبين في

ذلك ؟

قالت وقد تأثرت :

– ماذا ؟

ابتسم :

– لي إحساس بأنك لا تعيرين إعلاني الحار الأهمية التي يستحقها. أتعلمين أنها المرة الأولى التي أعترف فيها إلى سيدة بمشاعري نحوها؟ إني أحبك إلى حد الجنون.

– إنك مجنون. لكني لا أثق في ضربة الصاعقة.

– بلى، إنها موجودة. ولقد اختبرتها. آه! إنك كل شيء بالنسبة لي.

تمتمت إذ ارتبكت :

– أنا لست المرأة التي تلزمك يا "كلانسي". ابحث عن غيري.

هز رأسه وقد بدا متفرا ...

استطردت "ليزا" وكانت نبرتها تعبر عن اليأس :

– حتى لا أتسبب لك في المعاناة.

قال وهو يترك يدها :

– لا. إني موافق على كل ما سيعرضني له هذا الوضع.

أخذ بعد ذلك يداعب شفتها السفلى :

– إن لك فما رائعا. أحب ابتسامتك؛ لأنها تضيء العالم كله. إنك لا تبتسمين كثيرا.

أردفت وهي تتراجع خطوة :

– أتريد أن تسمعني ؟

– إني سامعك. لكن لقد فات الأوان حتى أتخلى عما أرغب فيه حاليا.

ثم أضاف عندما رآها تبتعد عنه :

– وأؤكد لك أنه ليس هناك ما يمنعني عن بلوغ غايتي.

تراجعت خطوة أخرى... ووجدت نفسها– بعد ذلك– بين ذراعيه. اضطرت أن تستند إلى كتفه؛ لأن ساقيها كانتا مرتخيتين، وجبينها حارا ولسانها جافا.

تمالكت نفسها بعد قليل، شعرت بأنه حاول أن يتجاوز حدوده.

تمكنت من النطق بصوت ضعيف :

– توقف . إنه جنون !

تمتم وهو يتابع ملاطفتها :

– أعلم . لكن... بالضبط دقيقة واحدة...

فتحت عينيها وصاحت :

– لا . الآن .

– كما تشائين ...

ثم فتح لها ذراعيه وابتسم لها برقة . كان يبدو كشخص جائع .

"ترى : هل أشاركه هذا الشعور؟ ترى هل يبدو عليّ ما يبدو عليه؟"

هكذا كانت "ليزا" تتساءل .

– لكننا يا "ليزا" ... واضح أننا نشتاق كل منا إلى الآخر .

أجابت معترفة :

– نعم .

رفعت يدا مرتجفة لكي تبعد شعرها إلى الخلف ثم استطردت :

– لكن هذا لا يغير شيئا . سأعود الآن إلى حجرتي . لقد آن الأوان لكي يكون لكل منا دوره : السجّان والسجينة التي بلا حماية .

– لست أنت التي بلا حماية ولا دفاع يا "ليزا" . إنه أنا . أنا لم أشعر في حياتي بأني قابل للانجراح كما هو وضعي الآن .

قالت وهي تغلق الباب عليها :

– أنا لست في الموضوع .

لعن . وهو الذي كان يشرح لها أنه سوف يكون صبورا ولطيفا، وأنه قد تصرف كآخر الأغبياء!

ثار على نفسه، صب لنفسه قدح قهوة ارتشفه على ثلاث جرعات .

كان من الأفضل الاحتفاظ بالهدوء والسكينة هذا المساء . والعمل– في الغد– على إصلاح ما صدر من سوء تصرفه . إن سيدة من مستوى "ليزا" كانت جديرة بكل التفات . نعم، بملاطفة مستمرة لكن مليئة بحسن الالتفات .

تنهد . بدأ جو الفيلا يأخذ في التوتر . ربما يكون من الأفضل اصطحابها

للنزهة على اليخت الخاص به... لكن ترى هل ستوافق؟

ذهب "كلانسي" لكي يغرق نفسه في ملف "ليزا لاندون" وقد ارتبك قلبه وتشتت ذهنه .

الفصل السادس

كانت الشمس تغطي وجهها بدفء لذيذ، وكان النسيم الرقيق يحمل إليها رائحة البحر والرائحة الممزوجة بالنعناع التي كانت تنسبها الآن إلى "كلانسي" .

شعرت بشيء خفيف يسقط على ركبتيها . فتحت عينيها وإذا بها ترى قميصه القطني الأزرق– الذي كان يرتديه– يغطي ساقيها .

قال :

– إن بشرتك رقيقة لا تحتمل التعرض طويلا للجو هكذا دون حماية . كان من المفروض أن تضعي بنطلونا بدلا من هذا الشورت . ألست معتادة أن تأخذي حمامات شمس ؟

– ليس في "نيويورك" في الشتاء .

اعتدلت في مقعدها الطويل .

سألته وهي تتأمل من زاوية عينيها لون بشرته البرنزية النحاسي :

– هل الجو حار في "سيدي خان" ؟

– نعم إنه طقس حار . غير أن الهضبات كثيرا ما تكون ممتعة في الصيف...

– شكرا لحضورك . كنت أخشى أن تفضلي البقاء في حجرتك بعد ما صدر مني من تصرف سخيف مساء أمس .

قالت :

– من يرفض نزهة حول الجزيرة على يخت مثل يختك؟ لأني محرومة من الشمس! كما أني لم يكن لي الاختيار مادمت أنا سجينتك . ربما كنت حملتني على كتفك واصطحبتني على متن اليخت على غير رغبتي .

أجابها بلهجة عتاب جعلتها تبتسم :

– لم أكن لأقوم بهذا العمل .

قالت :

– كنت أمزح .

تساءلت بعد ذلك عما سوف يكون التأثير عليه إذا لاطفته . اضطربت ثم أغلقت عينيها .

تمتم "كلانسي" بعد فترة صمت طويلة :

– أفي إمكاني توجيه سؤال إليك ؟

تجمدت :

– ماذا تريد أن تعرف ؟

– لماذا تزوجته ؟

– لقد شاهدت يا "كلانسي" صور "مارتن" . إنه رجل جميل جدا .

– لكنك لست المرأة التي تتعلق بالمظاهر .

– كنت هكذا عندما التقيت به؛ لأني– حتى سن السادسة والعشرين من عمري– كنت مازلت أتمتع بسذاجة يؤسف لها . كنت ابنة وحيدة . والداي كانا ثريين . كانا قد أخفيا عني الحقائق طويلا . كما أن عملي كمطربة كان– في الواقع– تسلية أكثر من أن يكون إلهاماً .

– و"بالدوين" ؟

– لقد قلت لك : إنه كانت لي عقلية أميرة تنال ما ترغب، ولما لم أحصل على فتى أحلامي حتى سن السادسة والعشرين فقد عملت على البحث عنه ...

ارتسمت على شفتيها ابتسامة كانت عبارة عن مزيج من الوداعة والمرارة .

واصلت حديثها :

– فما كان إلا أني وقعت على "مارتن بالدوين" : فارع، أشقر، ثري: الزيجة النموذجية .

– لكنك كنت تجهلين كل شيء عن نشاطه الإجرامي ؟

– إن الأميرة لا تهتم بالنظر من نافذة برجها العاجي إلا إذا كان ذلك في

ظروف نادرة، طارئة . ألا تعلم ذلك؟ عن نفسي كنت أعتقد أنه رجل أعمال يعمل في الاستيراد والتصدير .

أردف بجفاف :

– إنك كنت غير مخطئة إلى حد ما .

استمرت "ليزا" في حديثها :

– وما هو إلا مؤخر حتى اكتشفت سوء تصرفي . في هذه الفترة كنت قد فقدت والداي في حادثة طائرة؛ حينئذ شعرت بقسوة الألم وثقل المسؤوليات فاردت حينئذ إثبات شخصيتي كإنسانة رشيدة، وأمّ غير أن "مارتن" لم يفهم فما كان منه إلا أنه جاهد على حبسي في هذا البرج العاجي الذي كنت أتمنى الخروج منه .

تنهدت :

– استمر في عدم إدراكه هذا . إنه يعتقد أنه بعودتي إليه ستعود المياه إلى مجاريها . لكن لا! مستحيل . على الأقل ليس بدون ...

صمتت ونظرت إلى بعيد، إلى الأفق بنظرات شاردة واستطردت :

– أعتقد أنك الآن فهمت يا "كلانسي" لماذا لا أرغب في أن تأسرني في القيلا؛ لأني لم أحصل على حريتي إلا منذ فترة وجيزة .

– أنا لا أتصرف مثل "بالدوين" ! ربما تساورني رغبة في أن تكوني لي وحدي لكني أذكى من أن أعمل – أو أحاول حتى العمل– على أسرك . أو حبسك ...

ثم أضاف بعد فترة صمت :

– أتعشم ذلك على الأقل .

أخذ يتفحص وجهها الذي كان يعبر عن أسى دفين . لم تذكر "ليزا" طفلها من خلال حديثها .

كان "كلانسي" يتمنى أن يضمها إليه، أن يواسيها، أن يطمئنها لكنه وجد أن الفرصة غير مواتية لذلك؛ لأنها في حالة عدم توازن كامل . ومن يدري؟! ربما بتصرفه هذا قد يعرض نفسه لتحاملها عليه إلى الأبد .

أعلن "كلانسي" – بعد ذلك– وهو ينهض :

– أعتقد أنه وجب الآن أن أطلب من الكابتن أن يعيدنا إلى الأرض . لقد

أصابتك لفحة شمس على طرف أنفك. اتبعيني، اجلسي في الظل بقدر المستطاع.

تنهدت ثم ناولته قميصه الذي كان يحمي ساقيها :

– إنك بالتأكيد على حق! لقد بدأت أتكاسل في الشمس.

– وأنا يسرني أن أتأملك! إني أعشق ذلك... نعم، من الممكن أن تكون هذه هي رياضتي المفضلة في الهواء الطلق. أما عن الرياضات الداخلية... فجأة قطب "كلانسي" حاجبيه :

– آه، إن لون ساقيك أصبح ورديا. يبدو أن قميصي لم يأت بالغرض المطلوب، لم يفدك شيئاً.

– كنت قد أصبت قبل أن تعطيني إياه.

ظل مثبتاً نظره على ساقيها :

– إنك لا تعتنين بنفسك كما يجب يا "ليزا". إنك نحيفة جدا.

– أتجد أن ساقي نحيفتان جدا ؟

– لا أبداً.

قال هذا بشدة جعلتها تنظر إلى وجهه، وكان يعبر عن رغبة ملحة، قوية إلى حد جعل حلقها يجف. وبسرعة البرق سرت نار في عروقها لا تقل عن تأثير أشعة الشمس عليها.

ولما لاطفها "كلانسي" بأصابعه لم يتمكن من الامتناع عن إعلان إعجابه بها. قائلا :

– يا لها من بشرة ناعمة! يا إلهي كم أنك رقيقة!

كان ينبغي أن تبتعد عنه وأن تبعد أصابعه عنها بالتلميح له بطريقة غير مباشرة... لكن لماذا باتت جامدة بلا حراك، وكأنها تستعذب ملاطفته لها؟

بعد قليل– وقد يكون "كلانسي" قد لاحظ شيئا من الحرج على قسمات وجهها– قال لها :

– آسف. إني كنت قد عزمت على التصرف معك كرجل لطيف اليوم.

إثر ذلك بدت في عينيها نظرة عتاب بينما هو مازال يراقبها متأملا ساقيها الممدودتين– على الكرسي الطويل– في استرخاء جذاب :

– لكن– مع ذلك– كان ينبغي أن تكون أكثر تحفظا.

– وأنت أيضا كان من المفروض ألا تدعيني لألاطفك.

جُرحت لهذه الكلمات فاتسعت عيناها ونهضت دون أن تجيبه بكلمة.

قال :

– المعذرة يا "ليزا". أرجوك أن تغفري لي وإلا أكون قد جرحت أحاسيسك بما قلت الآن. إنها ليست غلطتك، إنها غلطتي أنا. هيا ننصرف من هنا.

تبعته، ثم انتقلت – في لحظات– من الألم إلى المتعة، ومن بعدها إلى الإحساس بالذنب، وها هي الآن تكن كل مودة لهذا الرجل الذي ألهمها بكل ذلك...

أردفت :

– إنها غلطتي أنا أيضا. أنا لم أكن أتوقع هذا منك.. أنا لست معتادة أن... ثم صمتت. لا داعي للاعتراف أمامه بأنها لم تلاق من "مارتن" مثل هذه الإثارة؛ لذلك عجزت عن مقاومته :

– ليتنا ننسى ذلك. أتريد ذلك ؟ لابد أن تكون غلطة شمس هذه المنطقة الاستوائية.

أجاب وهو ينظر أمامه :

– أنا لا أريد نسيانه بل إن لي نية تذكُّره دائما؛ لأنك ذات يوم ستتقبليني بكل سرور يا "ليزا". ستقفين في ذلك اليوم على الكوبري تحت أشعة الشمس وستفتحين لي ذراعيك.

حاولت الابتسام :

– لقد شاهدت ذلك في الطالع على ما أتوقع!

– لا. في خيالي. وإني موهوب لتحقيق أحلامي. إنها مسألة صبر ومداومة.

ارتدى قميصه لكن دون أن يتحمل عناء إغلاق الأزرار، وكانت "ليزا" لا تكف عن التطلع إلى عضلاته المفتولة التي توحي إليها بأنه الرجل الذي تتمناه، وكانت تزيد من نبضات قلبها. قال :

– لن أتخلى عنك أبداً.

أردفت :

– وأنا لن أتخلى عن الحصول على حريتي. إذن ها نحن نقف على طريق مسدود... بالإضافة إلى أني لست كفيلة بتقديم السيناريو الذي تقوم به. يوجد طاقم كبير على هذا اليخت. أليس كذلك يا "كلانسي" ؟

– اثنا عشر رجلاً. لكني كنت لا أفكر في باخرة من "سيدي خان". إني أمتلك مركبا شراعيا طوله سبعة أمتار وهو يرسو الآن في ميناء "ماراسيف" ؛ يلزمه شخصان لإدارته تماما .

حولت نظرها بحثا عن موضع مناقشة يكون أقل حرارة :

– عبّارة "سيدي خان بتروليوم" ؟ هل لديك بواخر فاخرة في متناول يدك أينما توجهت ؟

– إننا نمتلك حصة كبيرة من البواخر وطائرات الهليكوبتر مستقرة خاصة في "سيدي خان"، كما أنه لنا عادة استئجار ما يلزمنا .

– هل لك فترة طويلة في خدمة أمن "سيدي خان" ؟

– نعم، في البداية كنت مرتبطا بـ"أليكس بن رشيد" وابن عمه "لانس"، وكان– في هذه الحقبة من الزمن– "كريم" الحاكم في احتياج إلى رجل من نوعي .

– أي نوع ؟

– مغامر. كنت شابا وكانت لي حقول بترول في "سيدي خان". بالنسبة لبلد قليل الثراء ذي الحدود غير الآمنة مثل "سيدي خان" كنا لا نتوقع أفضل من ذلك .

– وهل ثبّتَّ نفسك في "سيدي خان" ؟

– نعم. بقدر ما يستطيع المرء أن يثبت في منصب كهذا! لكن عملي لم يسمح لي أبدا أن تكون لي إقامة محددة .

– لماذا ؟

– إن "سيدي خان" تتمتع بأهمية استراتيجية على المجال الاقتصادي، وهذا يمنعنا من حياة العزلة. إني أقوم برحلات تقرب من الستة شهور في العام... لكن هذا لا يعني أنه ينبغي أن أقوم بذلك على الدوام. لقد عينت رجالا في وظائف تكون لي بمثابة مفاتيح في العالم كله؛ بذلك

أستطيع تفويض سلطاتي.

انحنت "ليزا" على الدرابزين لكي تشاهد المياه الزرقاء :

– أعتقد أنك– بعد طول السنين– لابد أن تكون قد اعتدت عملك. ولا يجب أن تتسرع بتغيير نظام عملك .

– نعم. قد تنقصني الحركة غير أن لديّ أصدقاء ممتازين في "سيدي خان"، ومعهم أتمنى أن أحيا أكثر وأتعامل .

– "أليكس" ؟

– "أليكس" و"سابرينا"، "لانس" و"آنيس"، "ديفيد" و"ناتالي"، "كريم" و...

وضع يده على ذراع "ليزا" :

– وغيرهم كثيرون! أشخاص ممتازون، أتمنى أن تتعرفي عليهم.

– في قصرهم، قصر ألف ليلة وليلة ؟

ابتسم "كلانسي" :

– بل قصر مدعم لمن يراه من الخارج، ويدعونه قلعة "ماراسيف". إنه أفضل مكان يحمي "أليكس" في هذه الفترة المضطربة .

قال لها وهو يمسك ذراعها بشدة :

– إنه على بعد ست ساعات من هنا بالطائرة. هل تقبلين الحضور إليه يا "ليزا" ؟

هزت رأسها في علامة رفض. حينئذ قال لها "كلانسي" :

– إذا قلت لك: إني غني ففي إمكاني إهداؤك قصرا في حالة ما ترغبين في ذلك .

– كنت إذن ستشتريني ؟

– بكل الوسائل الممكنة: النقود، الشهرة. أتتمنين الغناء على أكبر مسارح العالم؟

– لقد تخطيت مرحلة العمر التي أنتظر فيها أن تصل إليّ كل رغباتي على صينية فضية. لا تسع إلى إغرائي!

– بل أسعى فقط إلى أن أحبك، وإلى العمل على جعلك تحبيني.

شعرت – في الحال– بحلقها يتعقد. بم تجيب على رجل يتكلم بإخلاص

أكيد. حينئذ لاطف "كلانسي" وجنتيها :

– لا تقلقي. ستعتادين ذلك مع الوقت.

بعد ذلك تابط ذراعها واقتادها نحو سلم اليخت .

– تعالي ندخل الفيلا لكي نحتمي فيها من الشمس؛ لأنه وجب علينا البحث عن وسيلة جيدة للبقاء في الظل خلال يوم أو يومين: الوقت الكافي لشفائك من ضربة الشمس.

ابتسم لها وقد بدا ماكرا، كاشفا عن كل أسنانه الناصعة البياض وسط وجهه البرنزي .

– أخبريني يا "ليزا" : كيف... كيف تحمين نفسك من السقوط؟

*****

اضطرت "ليزا" إلى الاعتراف بأن "كلانسي" قد أجاد الرؤية؛ لأنه بعد عودتها من النزهة بالباخرة، وبعدما أخذت دشا اكتشفت أنه لابد لها من تجنب الشمس خلال يوم أو يومين على الأقل .

عمل "كلانسي" – بعد ذلك– على لفت نظرها إلى الألعاب المسلية الموجودة بالصالون والتي يجيد لعبها: طاولة – شطرنج – دومينو– بوكر. كان يلعب بتركيز هادئ وسرور بديهي؛ الأمر الذي ساعدهما على قطع الوقت بسرعة مستمتعين به... على شرط ألا يكسب كثيرا – ضدها– الضربة تلو الأخرى! وفي نهاية سهرة اليوم الثاني تحمست "ليزا" بدلا من أن تقبل هزيمتها .

قالت في ضيق :

– كفى! لقد فاض بي! إنك تكسب على الدوام. أين تدربت على اللعب بهذه المرونة؟ آه! إني أتساءل عما إذا كنت لم تكذب عليّ عندما كلمتني عن عملك! من المستحيل الوصول إلى إجادة اللعب على هذه الصورة مع كثرة المسؤوليات .

– لقد تعلمت لعب الشطرنج في جنوب شرق آسيا عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري، البوكر في "تكساس" التي...

رفعت يدها لكي تمنعه من الاستمرار. قالت :

– المعذرة. كان لا ينبغي توجيه هذا السؤال إليك. هل هناك لعبة لا تعتبر فيها أستاذا؟

– ربما الاحتكار. لقد لعبتها مرتين فقط مع ابن "سابرينا". أتودين أن أرسل أحدا لكي يحضر لنا صندوقا من المدينة؟

– لا. شكرا. لقد تعبت ومللت اللعب بالألعاب الداخلية. أعتقد أني ساعمل على الاطلاع على أصول اللعب لكي أجيده في المرة المقبلة عندما أصاب بضربة شمس .

– حينئذ سوف أستطيع أن أقترح عليك لعبة أخرى للتسلية وقطع الوقت. إنها لعبة ذات قاعدة واحدة، والكل يكسب فيها. ليس هناك من يكون خاسرا أبدا.

سألته :

– وما هي ؟

تمتم بصوت هادئ :

– المتعة! هل تودين التجربة معي ؟

أبعدت عينيها عنه محرجة. لقد باغتها مرة أخرى. كان "كلانسي" قادرا على أن يكون الرفيق المثالي طوال ساعات: المسلّي، اللطيف، الذي يكاد أن يكون حانياً مثل الأب. ثم ها هو – في وقت لا تتوقعه – يلفت النظر إلى ملحوظة قد أيقظت فيها حاسة خفية. ملحوظة أشبه بالملاطفة، ملاطفة يديه الكبيرتين .

نهضت فجأة دون أن تنظر إليه :

– ساعد قليلا من القهوة، هل تريد قدحاً ؟

قال وهو يتبعها إلى المطبخ :

– نعم. أكون شاكراً .

جلس على أحد المقاعد العالية بينما هي كانت تدير إبريق القهوة الكهربائي:

– إنك لم تجيبيني يا "ليزا"، ما رأيك في مشروع اللعب الجديد ؟

أجابت محاولة الابتسام وهي تنظر إلى القهوة :

– ستكون لك الغلبة .

– ربما لا تجدين أي مضار في ذلك. آه! انتبهي إنك تشكين كثيرا من البن، اللهم إلا إذا كنت قد قررت مضاعفة الجرعة لكي لا تنامي طوال الليل.

– أوه! لا! كنت شاردة.

– يبدو لي أنك عصبية بعض الشيء. ماذا بك؟

– إنك تعلم ما بي. إني لا أحتمل الأسر.

ثم التفتت نحوه:

– "كلانسي"! إني محتاجة إلى الرحيل من هنا. "مارتن" لم يُظهر نفسه حتى الآن. لابد أنه في الطرف الآخر من العالم في هذه اللحظة. أطلق سراحي.

– لا. سوف يأتي. إنها ليست سوى مسألة وقت.

ترك مقعده لكي يقترب منها:

– إذا كنت ترغبين في الخروج ففي إمكاني اصطحابك في جولة في السوق المحلي الكبير غدا بعد الظهر. يقولون: إنه فخ للسياح، غير أن هذا المشهد سيلهيك بالتأكيد.

قالت وكانت عيناها مازالتا متجهتين إلى إبريق القهوة:

– مع "جالبريث" والحراس الآخرين.

– لن يتسببوا لك في أي ضرر. ربما لا تشعرين بوجودهم إذا كانوا يقومون بعملهم على أكمل وجه.

– لكني سأعلم أنهم هنا. آه! ألا أستطيع حقا إقناعك بوضعي في طائرة مقلعة إلى "نيويورك"؟

– لا يا "ليزا". هل شعرت بالتعاسة أو الضيق في الفيلا في هذه الأيام الأخيرة؟ كنت قد أحسست أنه وجب عليّ أن أقوم بتسليتك! أعلم أني لست مع فكرة أن أغلبية النساء يجدن في رجل الأحلام، الرجل النموذجي الذي يمكنهن التواجد معه على جزيرة خالية. غير أني كنت معتقدا أننا كنا – كلانا – متفاهمين تماما.

هل كان يشعر بأنه لم يكن ساحرا بالقدر الكافي؟ "بالتأكيد" هكذا قالت "ليزا" لنفسها وكانت قد بدأت في معرفته جيدا.

قالت بنبرة لطف:

– نعم كنا متفاهمين جدا، كانت "ليزا" – في الواقع – قد قضت لحظات طيبة مع "كلانسي". لحظات مثيرة. كان ذكيا، لماحا جدا متقبلا الحياة بطريقة جدية تنعكس على من هم حوله، وخاصة على "ليزا".

أضافت بشيء من الحذر:

– لكنه أمر طبيعي أن تصاب السجينة بشيء من العصبية. سوف تسعدني رؤية سوق "باراديز كاي" غدا.

تمتم وهو ينظر إليها في عينيها:

– أنا أيضا أشعر بأني عصبي. أتعتقدين أن هذا راجع إلى السبب نفسه؟ في هذه الحالة في إمكاني الاقتراح عليك بعلاج أفضل من هذه النزهة في السوق.

قالت بصوت مرتجف بينما كان قلبها يخفق أكثر:

– إنه دواء يعتبر مخاطرة.

– ليس لديك ما تخشينه معي.

ثم أضاف:

– قد يفيدك يا "ليزا" أن تتخلي قليلا عن الحذر وأن تنطلقي.

بدأ "كلانسي" في ملاطفة "ليزا": بأن يتحسس شعرها تارة، شفتيها تارة أخرى.

انتفضت، تجمدت، ثم أردفت وهي تبتعد عنه:

– لا. إني نادمة على عدم ابتعادي قبل الآن.

– أعلم، إنها غلطتي.

ضحك "كلانسي" غير أنه كان لا يبدو مسروراً؛ لأن وجهه ظل مشدودا غير مضيء.

ثم أضاف:

– وسأُعاقَب. لن أنام طول الليل.

– ولا أنا.

– بخاطرك. لن تحصلي على الحبوب كالمعتاد.

– لست في احتياج إلى منوم؛ لأني لا أتناوله إلا عندما...

صمتت واتجهت نحو الباب. قالت :

– إلى الغد يا "كلانسي" يبدو أن موقفنا بدأ يتخذ شكلاً صعباً. ربما تحررني قبل الموعد المحدد .

– لا تعتمدي على ذلك! كم عانيت الدوار في الماضي، خلال ثلاثة أسابيع– قبل أن ينتشلني "اليكس" من هنا– كنت أتألم وقتئذ أكثر من اليوم، غير أن هذا أفادني كثيراً. لقد تعلمت مواجهة كل المواقف والظروف .

ثم حنى رأسه علامة تحية ساخرة بعض الشيء.

قال :

– إلى الغد يا "ليزا" .

الفصل السابع

مستحيل أن يخطئ من يراه أو يدقق فيه: إنه "مارتن" واقف في ظل محل على الجانب الآخر للميدان .

في البداية شعرت "ليزا" بالدماء تتجمد في عروقها لكي تعود وتغلي بعد قليل. ألقت نظرة خاطفة إلى "كلانسي" ثم أطلقت تنهيدة اطمئنان. كان يبتسم؛ إذ كان منهمكا في تأمل القبعات المعروضة والمصنوعة من الخوص .

"ما العمل"؟ هكذا قالت "ليزا" لنفسها. كان "مارتن" مختفياً جزئياً من بعض المقاعد لكنه لم يكن الرجل الذي يبقى مبتعداً، سيقبل إليها بعد قليل. إذن ها هو "كلانسي" سيضع يده عليه. والفخ– الذي كانت هي بمثابة الطعم فيه– سوف يغلق عليه .

– انظري يا "ليزا" .. لكن ماذا حدث لك ؟ إنك شاحبة.

دمدمت :

– إنها الحرارة .

– هيا نعود إلى المدينة .

– لا داعي. سوف أتحسن في لحظات. لكن... هل ترغب في العودة إلى

البوتيك الذي قمت فيه بقياس القبعة الكبيرة وتشتريها لي؟

كان "كلانسي" يتفحصها قلقاً مرتاباً :

– أتمنى، ومع ذلك أرجو ...

– لا. لا لقد شعرت الآن بتحسن، لكن مع هذه الشمس وجب أن أضع شيئا على رأسي. إذا كنت ستشتري لي هذه القبعة أعدك بألا أهرب، ومع ذلك إذا ساورتني فكرة المحاولة فسوف يعترضني "جالبريت" .

– حسناً. سأذهب لشرائها وأعود بسرعة. امكثي في الظل.

اختفى "كلانسي" وسط الجموع لكن "جالبريت" كان يضع عينيه عليها. أخذت تعمل على اختراق المكان بكل هدوء، كان عليها أن تتصرف بطريقة طبيعية على قدر المستطاع. إن رجال "كلانسي" مراقبون مدربون .

توقفت بالقرب من المقاعد على بعد بضعة أمتار من المكان الموجود فيه "مارتن"، وهزت رأسها عندما كان بائع شاب يقترب مقبلا إليها . قالت مبتسمة :

– إنني ألقي نظرة فقط .

عاد ليجلس في الظل .

لمحت من طرف عينيها أن هناك حركة عن يمينها. قالت :

– لا تتحرك. إنهم يراقبوني .

قال "مارتن" بمرارة :

– أعلم ذلك. إن محبوبك الجديد لابد أن يكون غيورا أكثر مني يا "ليزا" : الحراس يحيطون بالفيلا، وأعتقد أنك لا تستطيعين الخروج؛ إذ ليس لك حق في ذلك إلا بصحبته: صحبة "ديموند". إنه يريدك له وحده، أليس كذلك؟

ارتجفت "ليزا" – بالرغم من حرارة الجو – من البرود الذي اعتادته فيه من قبل .

– إنك لم تخرجي من عنده منذ يومين. لابد أنه يجدك جذابة .

قالت وقد تملكتها الدهشة :

– هل تتجسس علينا ؟

أجاب ضاحكاً :

– إني أقوم بعمل المراقب منذ ثلاثة أيام حول عش غرامكما على شاطئ البحر .

– "مارتن" ! عليك بالانصراف فوراً. إنك في خطر .

– بسبب أولئك الحراس؟ هل هذا الشخص سيعمل على إبعادي عنك؟ إنك لي يا "ليزا" ، وكنت دائما لي. تعالي معي وربما لا تكون لي الرغبة في إلحاق الأذى بعشيقك الجديد .

ثم ضحك ساخراً وواصل حديثه :

– إنك لا تحبين العنف! ولا تريدين مشاهدته وهو يتالم كثيراً. أليس كذلك ؟ أليس كذلك يا عزيزتي ؟

"كلانسي" ... يتالم؟! هذه الثورة ولّدت فيها الرعب. ثم تحققت من سخافة الفكرة؛ إذ إن "كلانسي" أقوى من "مارتن" ، وأن هذا الأخير هو الذي سوف يعاني الكثير ويتالم كثيراً .

– اسمعني: لا تنخدع بالمظاهر. ليست لي الفرصة الكافية لشرح الموقف. اترك الجزيرة حالا .

– إذن ساصطحبك. إن لي متاعب وبعض المضايقات في طريقها إلى الحل. إنك كنت تحبيني يا "ليزا" ، ومن الممكن أن تعود الأمور كما كانت من قبل. إني محتاج إليك .

– لا يا "مارتن" إن الزوجة التي ظنت أنها تحبك لا وجود لها الآن. إني لا أستطيع منحك شيئا بعد .

– إنه بسبب الصغير، أليس كذلك؟ إنك لا تغفرين لي ما حدث لـ"تومي" ؟

– لا. ليس هو. وأعلم أنك كنت عاجزاً وقتئذ عن القيام بعمل أي شيء له... لكن.

– أوه! أرجوك .

ثم صاحت بنبرة توسلية :

– انصرف وفي الحال .

– ليس إذا مكثت هنا. أعطيني فرصة أخرى يا صغيرتي .

– لم أعد صغيرتك. إني بالغة وأنت لم تشعر بذلك أبداً .

كانت "ليزا" موشكة على البكاء من شدة تلاحق الذكريات المؤلمة في ذهنها :

– إنه لا يدعى "ديموند" . دعني، أعطني فرصة لكي أشرح لك. في الحقيقة: إنه ...

سألها "كلانسي" بلهجة تهكمية :

– أليست تلك هي اللحظة لكي أدخل في المشهد مثل "هركيل پوارو" في أحداث رواية "أجاثا كريستي" ؟

– "كلانسي" !

هكذا صاحت "ليزا" ملتفتة إليه .

– أخشى ألا تكوني قد صرفت نظراً عن القبعة. اعتقدت أنها بالنسبة لي أهم من لقاء "بالدوين" .

دمدمت بصوت مخنوق :

– إنك كنت تعلم... هل تعلم ؟

– من الأفضل لك أن تغني. ذلك أفضل بكثير من أن تقومي بالتمثيل على المسرح! لأنك قد تكونين ممثلة فاشلة. ألا تقومين الآن بتقديمنا إلى بعضنا البعض؟ هيه يا "ليزا" ؟

– إني في انتظار هذه اللحظة منذ فترة طويلة، طويلة جداً. أنا "كلانسي دوناهي" يا "بالدوين" !

– "دوناهي" !

اعترت "مارتن" ثورة عارمة غيّرت من ملامحه، وألقى إلى "ليزا" نظرات حقد .

أردف بأعلى صوته :

– تمثيلية! كنت تسايرين "دوناهي" من أجل الإمساك بي ؟

قالت بصوت منخفض :

– لا. لقد حاولت إخطارك وأنت لم تشأ الاستماع لي .

– إنك لم تلحّي! لأنك– في الواقع– كنت ترغبين في التخلص مني لكي تتمتعي بحبك مع عشيقك .

– إنه ليس عشيقي .

كانت لا تتوقع إقناعه. إن "مارتن" من النوع الذي يثق بما يرغب فقط :

– لا تكذبي عليّ! لأني أرى جيداً نظراته لك.

استطرد "كلانسي" بجفاف :

– نعم يا "بالدوين". إني عشيقها وهي محبوبتي، وأنت ستخرج إلى الأبد من حياتها. سيمحى اسمك بالنسبة لها تماماً.

– لقد خدعتني يا "ليزا"، والخونة يستحقون العقاب .

ثم أضاف بصوت مسموم :

– هل تعلمين أني سررت لما حدث لـ"تومي" ؟ نعم لانه هو الذي كان يحتل المركز الأول في حياتك. كان يسبقني عندك .

تقدم "كلانسي" خطوة :

– لن تعاقب أحدا يا "بالدوين" ؛ لانك بقليل من الحظ ستخرج من هنا حيا لكن لا جدال في أنك سوف تتحامل على "ليزا" .

– إذن إنها تهديدات حالياً؟ إنك تدافع عن ...

ثم بذراعه اليسرى، وبكل قوته، دفع بالمقاعد التي انهارت على الثنائي "ليزا و"كلانسي" .

أسرع البائع؛ لعن "كلانسي" وفي الحال حضر "جالبريث" مسرعا.

سأله "كلانسي" :

– هل رأيت من أين هرب ؟

كانت "ليزا" – منذ دقيقة– تراقب المكان الذي كان فيه "مارتن" : لا أحد .

أجاب "جالبريث" :

– من الشارع الصغير، خلف البوتيك. لقد أرسلت "هيندريك" لملاحقته.

– حسناً .

ترك "كلانسي" ذراع "ليزا" :

– سأذهب أنا أيضا لملاحقته. اصطحب "ليزا" إلى الفيلا" يا "جالبريث" .

أخذ يتخطى المقاعد وانصرف جريا .

كانت "ليزا" تتطلع إليه مذهولة. كانت الأحداث تتوالى بسرعة مذهلة إلى حد جعلها لا تفهم شيئا .

أمسك "جالبريث" – برقة – بكوعها :

– وجب أن نطيع "كلانسي" يا سيدتي، لا تقلقي، إن الأمور ستسير إلى أحسن، وسيمسك "كلانسي" بهذا النذل .

أما بالنسبة لـ"ليزا" فقد حل الفزع محل الارتباك. كان "مارتن" – خلال الدقائق الأخيرة– يبدو مهدداً جسوراً! كيف تجرأ على الكلام على هذا النحو عن "تومي"؟ بشاعة! جعلتها تشعر بالإعياء. كثيراً ما كانت تعتقد أن "مارتن" كان يلاحقها بدافع من إحساسه بالذنب واليأس. ترى هل كانت مخطئة ؟

أردف "جالبريث" قلقا :

– إنك ترتجفين، هل أنت على ما يرام ؟

إذا عاد "كلانسي" ووجدك مريضة فسوف يقتلني .

– نعم إني بخير .

كانت تكذب، كانت على حافة الانقباض، بل الاكتئاب. بحاستها، أسرعت في خطواتها لكي تبتعد عن هذه المشاعر لكنها كانت تعلم أنها أوهام. ها هي لها ثلاث سنوات الآن وهي تقضي أيامها على حافة هذه المخاوف. كيف تستطيع اليوم الابتعاد عنها؟

وأخيراً قالت :

– هيا ندخل !

*****

وعندما عاد "كلانسي" كان الظلام قد بدأ يخيم على الفيلا، و"جالبريث" كان قد أهمل إضاءة المدخل وحجرة المعيشة. كان هذا الأخير جالسا في مقعد ذي مسندين شبه حالم.

أضاء "كلانسي" نور المدخل؛ فنهض "جالبريث" في الحال :

– هل أمسكتم به ؟

هز "كلانسي" رأسه :

– لقد غافل "هيندريك" في الشارع الضيق ثم بحركة تعبر عن مزيج من الياس والتعب مر بيده اليمنى على عنقه :

– لقد غربلنا الجزيرة كلها، وفي النهاية أخبرنا أحد حراس الشواطئ أنه رأى رجلا يجيب على إشارة من "بالدوين" . كان قد وصل على متن باخرة منذ ثلاثة أيام .

– إذن كان يقطن مركبة؛ لذلك لا غرابة في أنه لم يُشاهَد في أحد الفنادق .

تنهد "كلانسي" :

– ومن البديهي أن تكون الباخرة قد رفعت مرساها في فترة بعد الظهر. لكن هذا لا يدعو إلى الياس، سنتمكن يوما ما من القبض عليه. كيف حال "ليزا" ؟

اغتم "جالبريت" وأجابه :

– ليست على ما يرام. إني أتساءل عما يكون قد قاله لها هذا النذل. إنها تبدو مصدومة. ترى هل هددها ؟

– نعم، غير أني لا أعتقد أن يكون هذا هو السبب في ارتباكها. هل تناولت غداءها ؟

– طلبت لها وجبة من مطعم الفندق لكنها لم تقربها. إني غير مرتاح لذلك يا "كلانسي" . إنه أمر يدعو للقلق. إنها هادئة جداً. لقد سبق لي رؤية صبية كانوا في نفس وضعها في "فيتنام" . عادة ما يلجأ أولئك الأشخاص – في النهاية – إلى التعمق في الغابات أو أن ينغمسوا في القمار.

كان "كلانسي" قد صادف– هو أيضا– في حياته أناسا يبدون على وشك الانفجار من فرط ما خزّنوا في داخلهم من أحاسيس مؤلمة وبشعة :

– سأحاول دفعها إلى تناول أي شيء فيما بعد. إنيّ غير محتاج إليك هذا المساء يا "جون" . أيضا أخبر الآخرين بعدم الحضور غداً.

أردف "جالبريت" دهشاً :

– وهل الرقابة الرسمية تنتهي إذن ؟ كنت أعتقد أنها سوف تستمر

لبضعة أيام؛ إذ إنه أمر مهم في حالة– وهو يبدو لي متوقعاً– ما يقرر "بالدوين" العودة إلى هنا .

– أوه! إنه سيعود! لكن ليس بهذه السرعة. إنه يعرف أني في انتظاره. بحسب رأيي سيترك فرصة لذلك. ثم يحاول مباغتتنا .

– وهل تعتقد أنه سيحاول إيذاء السيدة "لاندون" ؟

– بلا أي شك .

هكذا جاء تعليق "كلانسي" . ثم أضاف :

– كما أن السيناريو الذي قمنا به سيجعله أكثر خطورة؛ إذ اعتقد أنها خدعته، ولا نستطيع توقع ما قد يخترع – مثل هذا الوقح – لكي ينتقم .

استطرد "جالبريت" وهو ينهض من مقعده :

– إذن ستبقى تحت حماية "سيدي خان" . هل وجب عليّ أن أجعلها تقلع من الغد على طائرة إلى "نيويورك" وتدبر حارسا يحميها ويراقبها.

– لا. في فيلا كما في "نيويورك" تلزمها كتيبة رجال شرطة لضمان سلامتها وحمايتها. من الممكن أن أصطحبها إلى "سيدي خان" .

فوجئ "جالبريت" لهذا. ثم ابتسم :

– يبدو أن هذه السيدة لا ترغب في أن تكون مثل قطعة الشطرنج يحركها من يشاء. لابد أن تكون لها مشاريعها الشخصية، ولن نستطيع إبقاءها سجينة هكذا إلى الأبد .

– لكن يا عزيزي: ليست نية إبقائها قسرا! يا إلهي!

هز "جالبريت" كتفيه ثم اتجه إلى الباب :

– إلى صباح الغد يا "كلانسي" . وطبعاً ستخبرني بما قد قررت. طاب مساؤك.

ظل "كلانسي" فترة قصيرة ينظر إلى السقف، وكان تائهاً في أفكاره . ثم قبض على يديه .

إن ما كان يعتزم القيام به كان ضروريا ...لكن صعب التنفيذ . أخيرا نهض وذهب إلى حجرة "ليزا" . قرع الباب وقبل أن ينتظر الرد دخل في الحال: كانت "ليزا" تقف أمام النافذة فكانت أشعة شمس الغروب تنعكس على قوامها النحيل .

أعلن "كلانسي" :

– لقد أفلت من أيدينا . إني واثق بأنك مطمئنة لمعرفة أنه ليس عليك أي لوم . الآن "بالدوين" في عرض البحر.

قالت بنبرة يائسة دون أن تلتفت إليه :

– إنني على يقين بأنك تشعر بخيبة الأمل. أنا لا أعاني هذه التصرفات . إنما أعاني كيفية توقيفه!

– أنا متفهمك تماما يا "ليزا" ولا ألومك أبداً . إنما ما ينبغي أن تقومي به هو الالتفات إلى نفسك ، إلى أمنك؛ لأنك سمعت تهديداته قبل أن يهرب .

أردفت :

– نعم.

تنفس "كلانسي" بعمق . لقد وجد "ليزا" في حالة أسوأ مما كان يتوقع . أصبحت في حالة فتور وخمول كامل .

استطرد بعد ذلك :

– لقد صرفت الحراس.

لم تجب بشيء .

– حاولي أن تنطقي ولو بكلمة . أشعر بأني أتوجه بالكلام إلى تمثال .

أجابت مثل فتاة صغيرة مهذبة :

– المعذرة . إني متعبة . كما أني أرغب في الذهاب إلى الفراش الآن للرقاد .

– ليس في الحال؛ إذ ينبغي أن نتحدث معا .

كررت :

– أنا متعبة . وأود تناول المنوم.

– بالتأكيد لا !

– كل شيء قد انتهى، لقد صرفت حرسك. إذن أعد لي هذه الحبوب المنومة . إنها ملك لي.

– لا . لم ينته كل شيء ، وإذا اعتقدت أني سأدعك تبتلعين هذه الحبوب ...

التفتت نحوه. ولم يتمكن "كلانسي" في هذا الضوء الخافت من تمييز قسمات وجهها لكنه شعر بأن كل جسمها كان متقلصا.

كررت :

– أعدها لي . إني في احتياج إليها .

– لا يا "ليزا" . إنه ليس الوقت المناسب لكي تقرري الهروب من المواقف إلى النوم . بل وجب عليك مواجهة الحقيقة. سأعاونك بكل قواي .

سار نحو السرير وأضاء النور . ثم ندم على تصرفه هذا في لحظة ؛ كان وجه "ليزا" يعبر عن ألم عميق من الصعب العمل على شفائها منه.

ألح متأثرا :

– وجب أن نتحدث . لا تستمري على هذا الوضع .

صاحت "ليزا" أخيرا قائلة:

– إنك لاتعلم ما تقول ! وما أقوم به لايهمك يا "كلانسي" . دعني في حالي.

– لا . لن أتركك .

ثم توجه نحوها .

أردف :

– حدثيني عن "تومي".

صاحت وهي تعطيه ظهرها :

– لا . اخرج من هنا .

– لقد ولد ابنك "تومي" بعد عام من الزواج كما ورد في ملفك ، كان عزيزاً عليك جدا.

لقد لقي مصرعه في حادثة سيارة منذ ثلاث سنوات . كان "بالدوين" خلف عجلة القيادة وقت الحادثة . لم يصب إلا بكدمات بسيطة ،أما أنت فقد لحق بك حزن وأصبحت عصبية. ثم عدت إلى مهنتك بعد ستة شهور من العلاج المتواصل ، ومنذ ذلك الحين هانت تكرسين كل جهودك لهذا النشاط.

– بالضبط . ليس لديّ ما أضيفه .

– أوه ! بلى يا "ليزا" . كلميني عن "تومي".

هل كان أسمر أم أشقر مثل "بالدوين"؟

-لا . كان اسمر . لكن ما شان ذلك في الموضوع؟

- وعيناه؟ كيف كانتا؟

قالت وهي تتنهد :

- عسليتان .. أرجوك، كف عن استجوابي!

- وما هو اللون الذي كان يحبه؟ إن أغلبية الأطفال يحبون اللون الأحمر.

- أما هو فكان يفضل الأصفر . الأصفر الذهبي .

كنت - في عيد ميلاده الخامس- قد أقمت حفلاً في المنزل فطالبني يومئذ بأن تكون الزينات والبالونات كلها باللون الأصفر الذهبي.

- هل كان هادئا بطبيعته؟

أجابت وكانت تجد صعوبة في الكلام :

- أحيانا ... وعندما كان يشعر بالتعب كان يمسك بكتابه المفضل ويجلس على ركبتي ، ويسند رأسه على كتفي ، ويستمع إليّ وأنا أقرأ دون أن يتكلم، وكثيرا ما كان ينعس قبل نهاية القصة .

- وهل كانت له لعبة مفضلة يحب أن تكون معه في فراشه عندما يذهب للنوم؟

- نعم ، "سامي" وهو حيوان "الباندا" من الفراء الذي لم تتبق له سوى عين واحدة. كثيرا ما حاولت استبداله بحيوان آخر من الفراء لكنه كان يعتز به كثيرا ...

- وماذا كان مصير "سامي" يا "ليزا"؟

لم تجبه . وقد تجمد كل جسمها من تأثير هذه الذكريات .

- حدثيني عن ذلك.

قالت بصوت خافت جداً:

- إنه مع "تومي" . لقد أردت أن يكون بالقرب منه؛ لأنه كان يعتز به.

- كيف كان "تومي" عندما يبتسم؟

- كانت له غمازة على وجنته اليسرى، وكانت سنته الأمامية قد سقطت من الفك العلوي . رغبت وقتئذ في تصويره قائلة له: إنه قد

أصبح مشابهاً لـ"سامي" . فضحك وقتئذ ...

ثم التفتت وكان وجهها غارقاً في الدموع.

أكملت :

- غير أني لم ألتقط له الصورة.

لقد مات يا "كلانسي" . مات!

إنه ظلم.

وكان نحيبها يزداد :

- ظلم ! "تومي" كان لطيفا وكان لايستحق كل ما حدث له !

أسرع "كلانسي" إليها وضمها إليه في حنان .

أسند عنقها ومؤخرة رأسها على يديه وجفف لها دموعها في حنان بالغ:

- أعلم يا "ليزا" . أعلم تماما .

واصلت حديثها كمن وجدت من تفصح له بكل أسرارها ومتاعبها ، وأصبحت غير قادرة على السكوت :

- كان لي طفل رائع . لم أخطئ أبدا حتى أستحق ما حصل لي . كما أني كنت لا أستحق "تومي" ؛ لأنه في الوقت الذي كنت أعيش حياة الأنانية واللامبالاة كان "تومي" رقيقا ، محبا، و.. وذكيا... كانت معلمته تردد ذلك..

كانت "ليزا" في هذه الأثناء تقبض على قميص "كلانسي" في عصبية حتى تجمد تحت يديها :

- كم كنت أحبه !

- وأحلامك يا "ليزا" ؟ ما هي أحلامك؟

- أرى دائما "تومي" . كل ليلة. وأنا بالمنزل سعيدة . أصعد السلم وأنا أدندن؛ لكي أذهب لتقبيل "تومي" قبل أن ينام .

أفتح الباب : إنه غير موجود بالحجرة.

لا أفهم لماذا . أتوجه إلى السرير . إنه فارغ وبارد . اللحاف غير مفرود .

إن "تومي" لن يعود أبدا . إنني لن أحتويه بين ذراعي ولن أقبله بعد ...

كان "كلانسي" يهدهدها منقبض الصدر...

دمدم "كلانسي" من بين أسنانه :

– أعتقد أني لو كنت مكانك لقتلت "بالدوين" بيدي.

– إن "مارتن" كان يبدو متأثراً مثلي بالرغم من كونه لم يبد مودة نحو "تومي" أبدا.. لكن بعد انفصالنا تغير. كان يحب الخروج معه. كان يصطحبه إلى حديقة الحيوان.

وبعد الحادثة اعتقدت أنه .. ثم بعد فترة صمت استطردت:

– أوه! لم أعد أعرف شيئا بعد.

– لا بد أنه فهم وقتئذ أنه – لكي يكسبك مرة أخرى – ينبغي أن يتظاهر بأنه متألم مثلك لكن خلال هذه الفترة– فترة بعد الظهر– لم يكن مظهره كذلك.

– في الواقع .. أنا لا أفهم ... لا أفهم ...

كانت "ليزا" قد كفت عن النحيب غير أن دموعها كانت تغرقها.

– لكن بالنسبة لي. أنا أعرفه تماما هذا النذل.

حملها بين ذراعيه ووضعها في مقعد مريح. قالت بعد قليل:

– ليست لي نية يا "كلانسي" أن أتحدث عن "بالدوين".

تمتم:

– ولا عنك أنت؟

– لا بتاتاً.

– وعن "تومي"؟

– نعم.

شيء عجيب أنها ترغب في التحدث عن ابنها بعد كل هذه السنين وكأنه خراج قد انفجر وها هي الآن تعمل على تفريغه.

– تحدثي عنه يا "ليزا" إني مستمع إليك؛ لأني أريد أن أعرفه.

أخذت "ليزا" تسرد – بكل أسى– أحداثا كانت تجدد لديها ذكريات كانت تعتقد أنها فقدت، وكان ذلك ليس دون أن تتساقط دموعها بغزارة– من حين إلى آخر – بصورة لاتقاوم.

أما "كلانسي" فكان ينصت إليها في صمت عاملاً على ملاطفة وجنتها من وقت إلى آخر.

ولما انهت كل أسرارها صمتت. أغلقت عينيها، كانت أشبه بطفلة لها

كل الثقة بالشخص الذي يحنو عليها.

مرت دقائق دون أن تنتبه إلى ذلك. أخيراً أفاقت وأردفت:

– شكرا.

– لا تشكريني. إن "تومي" جزء لايتجزأ منك، وهانت تشركيني فيه. بالعكس وجب عليّ أن أشكرك. هل تشعرين بتحسن الآن؟

– نعم.

استطرد "كلانسي" بعد ذلك وقد بدا متأثرا:

– حسنا. أتعلمين: أنا أيضا قد فقدت أشخاصا أعزاء. لقد عشت حياة مضطربة، واعتقدت أنه ليس في إمكاني تفادي ذلك... فكنت كلما فقدت أحداً ما كنت أتصرف هكذا..

– كيف؟

– كنت أعمل جاهداً على تجميع ذكرياتي وأن أتقبل هذا الحزن، وأن أنقل المودة التي كنت أكنها له– والتي أنا قادر عليها – إلى شخص آخر؛ بذلك وجدت نفسي أشعر بأن الشخص الذي فقدته مازال حياً. ليست لديّ أسرة الآن لكني أتمتع بكمّ كبير من الأصدقاء الجيدين في "سيدي خان" ... وهكذا في كل مرة أُصاب بصدمة قاسية أمنحهم مزيداً من المودة، ومن الاهتمام والانتماء. ربما يبدو هذا عجيبا في عينيك!

– لا. لا بالمرة. إنه شيء جميل.

– في الواقع: إن هذا يساعدني. في إمكانك محاولة...

ثم قبلها على جبينها:

– إنك حقا منهكة؛ لذلك أرى أنه من الأفضل أن أتركك لكي تنامي ...

نهض "كلانسي" حاملا إياها بين ذراعيه ثم وضعها على السرير. أراح رأسها على الوسادة وغطاها بالملاءة.

همست:

– ستنصرف؟

كانت لاترغب في أن يتركها. لقد تم بينهما شيء عجيب في هذا المساء ... رباط عجيب من المودة قد نُسج بينهما.

WWW.RAYTY.COM

شعرت "ليزا" بانها – بالإفصاح له عن ماضيها مع "تومي" – قد افصحت له عن جزء من كيانها ...

هز رأسه :

– سابقى هنا .

أطفأ المصباح وجلس على مقعد عند قدميها :

– لا أظن أن الأحلام ستعاودك لكن في حالة عودتها ساعمل على صدها.

– لا داعي . أشعر بالتحسن الآن.

أجاب وهو يلاطف وجنتها :

– نامي . إني متمسك بالبقاء هنا .

انتظم تنفس "ليزا" وما هي إلا فترة وجيزة إلا وقد راحت في سبات عميق مطمئنة مثل الطفل الصغير .

في هذه الاثناء كان "كلانسي" يفكر وهو يمر باصابعه في شعره الطويل الحريري.

لقد خاطر هذا المساء عندما دفعها إلى العودة إلى حياتها الماضية ؛ إذ كان من الممكن أن يزيد من تعمقها في آلامها أو إثارة حقدها .. غير أنه نجح.

كانت "ليزا" وحيدة في الحياة ... لم تكن لها أسرة ولا أصدقاء أوفياء. ليس هناك من تثق به.

كان يجاهد لكي يقاوم التعب الذي قد لحق به. لقد كسر "كلانسي" القوقعة التي كانت تخفي آلامها بداخلها .

وعندما تستيقظ وجب عليه أن يقترح عليها شيئا آخر؛ لكي يشغل الفراغ الذي يملأ حياتها الآن .

*****

استيقظت "ليزا" وكان المكان مازال مظلما. نظرت إلى المقعد : لم تجده مع أنه وعدها بالبقاء معها وعدم الانصراف .

انتصبت وأزاحت خصلة من شعرها عن وجهها .

تمتمت :

– "كلانسي"؟

كان واقفا أمام النافذة ، لقد ميزته في الضوء الخافت من قميصه الأبيض .

التفت نحوها :

– أنا هنا . كل شيء على ما يرام.

كانت تعرف ذلك. كانت تشعر بسلام كامل وصفاء ذهن لم تشعر بهما منذ زمن بعيد :

– لم تنم؟

قال متجها نحوها:

– لم أكن محتاجاً إلى النوم . كيف حالك اليوم؟

أجابت بصوت هادئ :

– في أتم صحة . إني معترفة – وساظل معترفة – بجميلك هذا. كم الساعة الآن؟

– بعد الثالثة صباحاً بقليل . هل تفضلين مواصلة النوم أم تناول طعام؟ لانك – في الواقع– لم تاكلي شيئا منذ صباح أمس.

– يبدو أنك أنت و"جالبريث" مهتمان جدا بموضوع الغذاء بالنسبة لي. هل تعلم أنه كلما قلت كمية الطعام التي يتناولها المرء يشعر بانه في أحسن حال وحيوية أفضل. غير أني لا أرغب في النوم بعد الآن وأود تناول أي شيء الآن.

أزاحت الملاءة :

– لكني أفضل أخذ دش أولا .

– حسنا جدا .

أضاء مصباح السرير. قال :

– أما أنا فسأذهب لكي أعد لك أومليت في هذا الوقت .

أخرجت من الدولاب بنطلونا أبيض و"تي شيرت" أخضر ثم ذهبت إلى الحمام.

وعندما عادت بعد عشر دقائق كان "كلانسي" في حجرتها. كان أمام

النافذة. يبدو أنه كان يتأمل الحديقة. ذهبت إليه وسألته:

– "كلانسي"؟ هل من شيء يضايقك؟

التفت وعلى شفتيه ابتسامة مطمئنة:

– أفضل أن أكلمك في الحال.

سألته مرتبكة:

– كما تشاء، لكن عم ستكلمني؟

– لقد فكرت طويلا هذا المساء... تعالي.

اصطحبها– ممسكا بيدها– إلى الحديقة حيث عطر الأعشاب المألوفة في المناطق الاستوائية:

– أعتقد أن المفروض أن تعرفي ما يلزمك يا "ليزا"، وقبل أن أخبرك به أود أن تعلمي تماما أن ما أعرضه عليك ليس بدافع الأنانية وإن كان سيعود عليّ بما أتمنى..

– إني لا أرى إلى أين تهدف يا "كلانسي".

كان مصباح الحجرة الموجود عند السرير لا يكشف بوضوح ملامح "كلانسي" القاسية.

أطلقت "ليزا" ضحكة عصبية بعض الشيء قبل أن تضيف:

– بالنسبة لرجل مثلك يميل إلى الصراحة أجد نفسي دهشة لتصرفك هذا. إنك تدور حول هدف.

– لأني خائف.

ثم أحاطها بذراعه واصطحبها إلى النافورة. قال:

– أنا لا أعلم كيف سيكون رد الفعل عندك.

– بخصوص؟

تنفس بعمق:

– هل تعلمين أني أحبك؟

ترددت إذ فوجئت:

– أعلم أنك تعتقد أنك تحبني.

– هل تثقين بي؟

أجابت في اندفاع:

– نعم.

كان "كلانسي" في هذا الوقت جاثيا أمامها ممسكا بيديها بين يديه:

– لابد من ذلك يا "ليزا" لأني لن أجعلك تتألمين أبدا. أتذكرين ما قلته لك عن طريقتي في التغلب على الأحزان؟

– نعم أتذكره جيدا.

– إنك في احتياج إلى شخص تمنحينه قدرتك على الحب، وأنت الآن ليس لديك أحد في قلبك. إنه خال تماما.

– ماذا تحاول أن تقول لي؟

أعلن بنبرات واثقة وهو ينظر إلى عينيها:

– إنه يلزمك أحد. "ليزا" إني أتمنى أن أهبك طفلا.

– طفلا!

– أنا لا أقصد القول بأنه سيكون بديلا لـ"تومي". إن كل كائن بشري يعتبر فريدا في... لكن المهم أنه يلزمك أحد تمنحينه حبك.

ثم بدت على شفتيه ابتسامة ضعيفة:

– إني أناني فعلا؛ إذ إني أرغب في أن يكون هذا من نصيبي لكن نظرا للظروف التي ليست في صالحي– على الأقل حاليا– أجد نفسي مقتنعا يا "ليزا" بأنك ستحبين طفلك.

ثم وضع راحة يدها على شفتيه وقبلها:

– دعيني أعطيك طفلا.

أجابت وكانت ألف فكرة تتزاحم في ذهنها بجنون:

– "كلانسي"!

– لن يكون لك ارتباط بي بهذا الأمر؛ لأن الطفل سيكون لك. كما أني أتمنى بقاءك بالقرب مني حتى ولادته. إنك خير من يعلم أني أميل– بطبيعتي– إلى الحماية! وقد أقلق إن لم أجدكما أمام عيني. أردفت بصوت ساهم:

– إنه جنون!!

كانت "ليزا" تشعر– في داخلها– بأن حرارة مشرقة تجيب عن كلمات "كلانسي" وعن نظرته المؤثرة المليئة بالحنان وكأنها نظرات صبي بريء:

نظرة "تومي" عندما كان يخطئ ثم يترقب رد الفعل عندها .

تجمدت من المفاجأة. إن التفكير في "تومي" قد أبطل الألم، ربما يكون "كلانسي" قد خلصها من مخاوفها؟

أجابها وهو يداعب أصابعها الرقيقة:

– ليس أكثر جنونا من هذا. إنك ترغبين فيّ وكان لا ينبغي أن تجدي صعوبة أو ضيقا في ذلك.

أخذت حينئذ تضحك بطريقة هيستيرية.

استطرد "كلانسي" وقد بدا جادا :

– أنا على قدر كاف من الثراء يكفل لكما حياة هانئة مستقرة. لن ينقصكما شيء أنت والطفل. سأعمل كل ما في وسعي أيضا لجعل مهنتك أكثر انتعاشا، وعندما تكون لديك جولة فنية فأتمنى أن ترسلي الطفل إلى "سيدي خان" عندي .

أردفت :

– لقد فكرت حقا في كل شيء .

– لقد بحثت عن حل لكل مشاكلك. هذا كل ما في الأمر.

نعم لقد قدم لها حلا بكل ما كانت تقدّر فيه من بساطة وكرم أخلاق.

– وأنت يا "كلانسي" ما الذي سوف تجنيه من كل ذلك؟

أجاب مبتسما :

– أشياء ليست بالقليلة. أولا: سأتمتع بقربك مني تسعة أشهر. ثم بعد ذلك الطفل الذي قد أحبه حتى إن كان ليس لي. كل هذا يكفيني يا "ليزا" . أنا لم أفكر – قبل دخولك إلى حياتي– بأنه سيكون لي نسل.

شعرت "ليزا" بالدموع تملأ عينيها عندما تذكرت لحظات سردها الأحداث الماضية مع "تومي" .

إن "كلانسي" سيكون أبا ممتازا عاقلا، حنونا، مدافعا، حاميا لهما. لم يكن لها حق حرمانه من أن يكون أبا بصفة كاملة.

تمتمت :

– لا أستطيع الموافقة على هذا؛ لأنه ليس من العدل أن أقبل هذا الموقف بالنسبة لك.

قال وهو يضغط يديها بشدة في يديه:

– إنك تخطئين. صدقيني لن أشعر أبدا بأني ضحية أو شهيد إذا وافقت على عرضي هذا. سأجد أني رجل فاضل!

– إنه غباء!

ثم أكملت بعد ثوان :

– أنا يا "كلانسي" لا أريد أن يكون هذا بيننا.

– سمعاً ...

ضغط ثانية يديها قبل أن يتركهما ونهض:

– إذن دعينا الآن من اقتراحي الشخصي لكن أخبريني: أتودين أن يكون لك طفل؟

بم تجيب؟ إن فكرة "كلانسي" هذه كانت قد فاجأتها وملأتها بفرحة عارمة.

كانت "ليزا" بعد ولادة "تومي" قد تحققت تماما وشعرت بالحاسة التي كانت تسكن فيها: حاسة وعاطفة الأمومة. فكانت قد ازدهرت وقتئذ. وهل تخاطر مرة أخرى حتى تتعرض لنفس العذاب وتعاني الذي عانته من قبل؟

قالت – وكانت كلماتها تنبع من أعماق قلبها ويداها تقومان بإشارة تعبر عن العجز :

– لم أعد أعلم شيئا. إني لا أرى أين أنا من هذا الموقف. كم من الأشياء تدور الآن في اللعبة ؟

حك "كلانسي" رأسه :

– أفهم جيدا. إنه قرار عليك وحدك اتخاذه .

تراجع خطوة:

– فكري يا "ليزا" . أعتقد أن اقتراحي يناسبنا معا .

ثم معطيا لها ظهره انصرف تجاه المنزل الصامت غير أنه توقف بعد قليل وقال لها من أعلى كتفه :

– ستوافيني بقرارك... في انتظار هذا أعتقد أنه لم تعد لك رغبة في تناول الأومليت؟

– أوه! لا. لقد أعطيتني أشياء كثيرة محتاجة إلى هضم.

ابتسم:

– بالإجماع: إذا كنت أريد أن أراك وقد ازداد وزنك فقد وجب أن تكون مناقشاتنا في المستقبل بعد الوجبات.

– ليس جبرا؛ لأني في حالة قبولي اقتراحك فسيزداد وزني في الحال.

ضحك "كلانسي" وقد استنار وجهه:

– هذا صحيح!

ثم أضاف:

– أتمنى أن أراك حاملا في طفلنا. ليس أجمل من السيدة التي تحمل ثمرة في أحشائها.

أخذ يتفحصها بنظراته العميقة حتى انقطعت أنفاسها. ولما حاول الانصراف ثانية قاومت لكي تجيبه:

– إن رأيك عجيب في جمال المرأة. أتذكر أني عندما كنت أنتظر "تومي" كنت أشعر وكأني ابتلعت ثمرة قرع كبيرة.

قال بصوت وديع:

– أتمنى أن تقدّري هذا الوضع. فكري فيه... ثم انصرف بخطى واسعة نحو المنزل دون أن يلتفت نحوها.

أخذت "ليزا" تتساءل وكان قلبها وفكرها قد اضطربا. هل كانت لها رغبة في طفل آخر؟ هل سيكون من العدل انتزاعه من أبيه؟ ومن جانب آخر هل كانت وقتئذ تستطيع ترك "كلانسي" باصطحاب الطفل معها؟ بالتأكيد سيكون صعبا عليها أن تعمل على جرح أحاسيس رجل إلى هذه الدرجة لا سيما عندما يكون هذا الرجل في نزاهة وطيبة قلب "كلانسي". لا إنها لا تستطيع تركه ولا التخلي عنه.

تجمدت أمام هذا الاكتشاف؛ لأنه من البديهي أنها لا تستطيع ترك "كلانسي" مهما كانت الظروف. كانت "ليزا" ترغب من أعماقها في الحياة بالقرب منه، وأن تحمل أطفاله، وأن ترى ابتسامته الحارة حتى النفس الأخير: إنه الحب! نعم إنها كانت تحب "كلانسي". لقد ارتبكت لهذه الأحاسيس التي تداركتها بقدر ما ارتبكت عندما قدم لها اقتراحه قبل

ذلك.

جلست على حافة النافورة عقب صدمة هذا التأثر. كان صوت "كلانسي" يرن في أذنيها: "فكّري"! (هكذا قال لها). ظلت هكذا حتى الفجر.

كانت مازالت غارقة في أفكارها حتى مطلع الفجر؛ لأنها كانت قد اتخذت قرارها: كانت ستخاطر ليس فقط بحمل جديد إنما أيضا بحب جديد. حب حقيقي هذه المرة.

نهضت وكان جسمها متقلصا لطول بقائها جالسة، وأيضا كانت منهكة من كثرة التفكير. الآن ليس لديها رغبة إلا في الذهاب إلى السرير وأن تنام غير أنها كانت تعلم أنها لن تقوم بذلك. كان "كلانسي" يستحق الرد بأسرع ما يمكن.

كانت تريد طفلا. كانت أيضا ترغب في "كلانسي"... اعتراها الدوار بعد بضع خطوات. لقد عاشت بعيدة عن الحب. إن ما كانت تشعر به نحو "مارتن" كان بعيدا عما تشعر به الآن نحو "كلانسي". وإذا تحقق "كلانسي" – بعد فترة من الزمن– من جانبه أنه لم يكن يحبها حقا؟

تمتمت وهي تتخطى عتبة باب الحجرة: "الأفضل أن تبقي حذرة".

اجتازت الحجرة وتوجهت إلى مكتب "كلانسي". دخلت دون أن تقرع الباب. كانت الستائر مشدودة. تمكنت بصعوبة من رؤية جسمه الكبير على الأريكة.

– "كلانسي"؟

قال بهدوء:

– لست نائما.

وإذ كانت تشعر بأن حلقها معقود تمكنت أخيرا من النطق بهذه التمتمة:

– إني أريد طفلا، طفلا منك.

لم يجبها في الحال. لقد انتظرت لكي ترى رد الفعل عنده.

تساءلت في أسى: "هل غير رأيه؟"

أجاب:

– هذا يسرني .

لم يغير رأيه؛ ففرحت "ليزا" .

أعلنت :

– أتمسك بأن تكون الشروط عادلة بالنسبة لك .

في إمكاننا توقيع عقد يفيد بأن لكل منا حق حضانة الطفل ستة شهور في العام.

– كما تشائين .

– وعندما يكون معي أتكفل به تماما.

– لا أعتقد أننا ... سنناقش ذلك فيما بعد. هل أنت واثقة بنفسك؟

– بالتأكيد .

"يا إلهي كم أحبه"! هكذا فكرت "ليزا" ، وكانت متأثرة للغاية من نزاهته .

– سوف أوصي بالطائرة الخاصة للصباح. إنك في احتياج إلى الراحة يا "ليزا" وإلى النوم.

– الطائرة؟!

–سأصطحبك إلى منزلي في "سيدي خان" .

الفصل الثامن

– قهوة؟ قدح قهوة؟

كان "جون جالبريت" واقفا أمام "ليزا" ممسكا بترمس بإحدى يديه وقدح باليد الأخرى.

– نعم .. شكراً . إني في أمس الحاجة إليه لكي أستيقظ .

أزاحت عنها الغطاء وكان من الكشمير الأبيض.

تناولت القدح الذي كان السائل الأسود يرتج فيه بسبب اهتزازات الطائرة .

ارتشفت منه جرعة بسرور بينما كان "جالبريت" يرقبها في مودة:

– لقد نمت ساعات .. أين "كلانسي"؟

– في كبينة القيادة . إنه يرسل تعليماته إلى "ماراسيف" .

تركها "جالبريت" ، ثم عاد بعد لحظة وجلس بالقرب منها ويداه فارغتان.

أعلن لها مبتسما :

– كان ينبغي أن نصل في أقل من ساعة.

انتصبت "ليزا" في مقعدها . إذن لقد نامت حوالي ست ساعات ولاغرابة في ذلك! بالرغم من نصائح "كلانسي" لها ، فهي لم تجد التعاس في "باراديز كاي" وعندما ذهبت إلى سريرها مكثت مستيقظة ، مضطربة الفكر ومنذ دخولها إلى هذه الطائرة الخاصة الفاخرة نامت .

سألت "جالبريت" :

– هل تعيش أنت أيضا في "سيدي خان" ؟

أجاب وهو يهز كتفيه:

– أعيش حيثما يرسلني "كلانسي" . إن منصبي يتطلب كثيرا من التنقلات . حركة دائمة.

أردفت متفكرة:

– هذا ما قاله "كلانسي" بالضبط . هو أيضا يحيا حياة غير مستقرة .

لكنه أيضا كان قد أعلمها أنه سوف يتصرف بحيث تكون أسفاره أقل من المعتاد ، هكذا تذكرت "ليزا" بشيء من الاطمئنان. وربما تكون لها فرصة مرافقته أحيانا.

– وهل "كلانسي" يمتلك منزلاً في "سيدي خان" ؟

هز "جالبريت" رأسه :

– إنه يقيم دائما في القصر؛ لأنه يجد راحته في الحياة بالقرب من الشيخ "ابن رشيد" .

فجأة شعرت "ليزا" بالقلق؛ كانت تخشى ألا تجد راحتها في قصر ملكي.

قال "كلانسي" الذي كان قد لحق بهما لتوه :

– في إمكانك الآن الجلوس بالقرب من الطيار .

نهض "جالبريت" في الحال مبتسما.

WWW.RWITY.COM

غير أن "ليزا" لاحظت أن "كلانسي" مشدود، وعند انصرافه أردف "جالبريث" وهو ينظر إلى "ليزا" :

– أشعر – وهو واضح – بأن وجودي هنا غير مرغوب فيه. إلى اللقاء .

وضعت "ليزا" القدح فارغا على المائدة الموجودة بالقرب منها .

سألته :

– هل هناك شيء غير عادي ؟

– نعم..

جلس "كلانسي" في المقعد الكبير ذي المسندين الذي كان قد تركه "جالبريث" .

– ماذا ؟

– بحسب رأيك بم يختص الأمر؟ لقد قلت لي في الليلة الماضية : إنك تريدين طفلاً مني يا "ليزا" ؛ لذلك وجب القيام بإتمام بعض التمهيدات. لم أكن أفكر إلا في هذا منذ بداية النهار. ثم بعد أن صعدنا على متن الطائرة نمت نوما عميقا .

شعرت "ليزا" بحلقها ينعقد :

– لماذا لم توقظني يا "كلانسي" ؟

– فضلت أن تأخذي قسطا من الراحة عن أن أتمتع بصحبتك . يكفيني بقاؤك بالقرب مني. أنا أحبك يا "ليزا" ! لم يسبق لي أن أحببت امرأة قبلك بهذا القدر أو أن أرغب فيها .

– وأنا أيضا يا "كلانسي" .

بدأت "ليزا" تتقرب منه وتستسلم لملاطفته . تُرى هل لأنها أحبته أم لأنها ترغب في أن يكون لها طفل منه يعوضها عن "تومي" ؟

كانت "ليزا" تتأمله وقد بدت شاردة؛ لأنها كانت فريسة مشاعر متناقضة : رغبة قوية، وحنان لايُحد .

فجأة أشرق وجهها بابتسامة رقيقة. ثم خرجت من صمتها لتعلن له :

– يبدو لي أني أولد من جديد . إني أبدأ حياتي من الآن . والفضل لك يا "كلانسي" .

ثم أضافت بنبرة وديعة :

– حتى الآن لايحق لك أن تعترض على تصرفاتي. على الأقل حتى اللحظة التي تعبر فيها أزمة الضمير الفجائية .

علت الحمرة وجه "كلانسي" في الحال . وقال معترضا :

– "ليزا" ! ما الذي يدفعك إلى هذا الكلام؟

– عفوا يا "كلانسي" ، لكني أرى أنه مازال هناك وقت لكي تغير رأيك في موضوعي. إنك– في الواقع– لا تعرف إلى أين سوف يقودك اقتراحك الذي قدمته لي في الليلة الماضية ، لكن ثق بأن السيدة التي قابلتها في "باراديز كاي" لم تكن سوى الجزء المرئي لكن حاليا ها هو الجزء الخفي يطفو على السطح.

حينئذ شاهدت أن ملامحه بدأت ترتخي وتستنير.

سألها مبتسما :

– ما هو وقع اقتراحي عليك؟

فكرت لحظة قبل أن تجيب :

– بالإجماع: ممتع ! لكنه يخيفني بعض الشيء .

أمسك بيدها . وضغط عليها برقة في يده . استطرد :

– إن سيدة مثلك لا تخشى شيئا . لا سيما معي. لقد سررت لردك هذا . سررت مسبقا.

تأثرت "ليزا" جدا إلى حد جعلها غير قادرة على الاستمرار في الحديث مع من وجدت فيه الصخرة التي يتعلق فيها المرء ضد التيار الذي يجرفه.

ترى كم من الناس كان "كلانسي" عونا لهم في الماضي ؟

كان يعطي بسخاء بطريقة تجعل من يتعامل معه، ويحظى بعطفه يغفل أن له حقوقا هو أيضا .

فجأة شعرت بحنين شديد إلى الأمومة، لم تجرؤ من شدته على الالتفات إلى "كلانسي" لمواجهة نظرته .

خفضت عينيها على مجلة شهرية كانت قد فتحتها على ركبتيها .

ولما كان الصمت الذي يسود المكان ثقيلا فقد أرادت أن تغير مجرى الحديث لتلطيف الجو :

– سمعت أنك كنت تعيش في قصر الشيخ. هل هذا يعني أني

سأتواجد في وضع "إحدى النساء الحريم" ؟ أي وضع محظية؟

قال مداعبا :

– سيكون لك هذا المظهر بالتأكيد . في الحقيقة لي مسكن في القصر لكنني لن أصطحبك إليه هذا المساء .

سألته وكان المكر يبدو في عينيها :

– أليست لك نية إقامتي في دير مثلا ؟

– نعم . إنني أتطلع إلى نظام حياة يحتفظ بالمسافات متساوية بين الطرفين .

– لا تريد حقا إحاطتي علما بالمكان الذي سنتوجه إليه ؟

هز رأسه :

– أفضل أن أقدم لك المفاجأة ؛ لأنه لم يسبق لي الانطلاق في الجانب الرومانسي . أتعشم ألا يخيب أملك...

كان يراقبها بابتسامة حانية إلى حد دفعها إلى الابتسام بالمثل .نهض "كلانسي" وقال :

– سنهبط بعد قليل . سأطلب من "جون" أن يرافقك في زيارتك للمدينة أثناء قيامي بتدبير أموري .

اغتمت :

– لكني لا أريد الذهاب مع "جالبريت" . أفضل البقاء معك.

كان "كلانسي" كلما وجد أن نظره يقع على محاسنها يتنهد ويتراجع خطوة :

– كان ينبغي يا "ليزا" أن تفكري في ذلك قبل أن تقدمي لي كل إغراءاتك . لن أقاومك أكثر من خمس دقائق في مؤخرة الليموزين. حينئذ سوف تسقط كل أحلامي الجميلة في الماء ...

تراجع ثانية :

– لكن كانت لي فرصة البقاء حتى هذا المساء إذا اختفيت عن نظري في الثواني الآتية ...

دار "كلانسي" على عقبيه ، وابتعد بسرعة نحو مكان إدارة الطائرة...

الفصل التاسع

لم يكن أحد قصور ألف ليلة وليلة.. لكن صرح من العصور الوسطى ذو حصن عال وجسر هائل يرفع ويخفض. كل ما يلزم لصد الغزاة . وهو أمر محتمل في جوف الصحراء .

استفسرت "ليزا" :

– فيم يستخدم الجسر؟ لا يوجد حفر حول القصر .

حلقت– في هذه الأثناء وللحظات – الهليكوبتر ذات الألوان : أزرق وأبيض أعلى هذا المبنى القائم في الصحراء . ثم هبطت عموديا واستقرت على بلاط الفناء الداخلي .

– لقد شيد هذا القصر أحد أجداد "لانسي ريبينوف" تخليداً لذكرى وطنه الأصلي الـ"تامروفي" ؛ إذ كان يعاني ألم فراق الوطن ...

ابتسم "كلانسي" واستطرد:

– يبدو أن "لانسي" قد ورثه ؛ إذ له نفس الطابع .إنه غير منطقي بالمرة.

– الـ"تامروفي" ؟! إنها مملكة البلقان . أليس كذلك؟

كان "كلانسي" قد كلمها بدون تفاصيل عن الأمير "لانسي ريبينوف" الذي كان ابن عم "اليكس بن رشيد" .

دهش "كلانسي" :

– هل تعرفين هذه الدويلة؟

– إنه الملك "ستيفان" الذي يحكمها . لقد قرأت مقالا منذ فترة عن هذا الموضوع في جريدة الجغرافيا القومية.

– "ستيفان" هو الأخ الأكبر لـ"لانسي" . سيدي خان" و"تامروفي" لهما علاقات دبلوماسية طيبة منذ عشرات السنين ، ولقد تقاربت الأسر المالكة حديثا بزواج والد "اليكس" من ابنة الشيخ "كريم" .

أغلق مفتاح التشغيل وفتح باب الهليكوبتر :

– ولما وجد "لانسي" مناخ "سيدي خان" أكثر ملاءمة له عن مناخ الـ"تامروفي" أقام فيها مع زوجته .

وجب الإشارة إلى أن أخاه "ستيفان" متعاظم أما "لانسي" فلم يكن مثله

. كان بعيدا عن ذلك كل البعد . لقد كانت "ليزا" على علم بالأمور : كان الأمير قد قام بالنفقة حتى زواجه .

سألت :

– وهل "لانسي" يمتلك هذا القصر؟

– لا . إن "لانسي" يأتي إليه من حين إلى آخر لكنه ملك "سيدي خان" . كان جد "أليكس" قد كسبه في لعب البوكر.

قام بعد ذلك "كلانسي" برفع "ليزا" بين ذراعيه القويتين ووضعها على أرض الفناء :

– ليس من يحب هذا القصر العجيب إلا "كيرا" . إنها حاليا في "تامروفي" .

– "كيرا" ؟!

– الأميرة "كيرا ريبينوف" . الأخت الصغرى لـ"لانسي" .

قطب "كلانسي" حاجبيه :

– ألا نستطيع إسقاط هذه الأسرة ؟ أنا لم أصطحبك إلى هنا لإعطائك قصة تاريخ عن سلالة آل "ريبينوف" .

سألته بابتسامة مداعبة:

– لماذا اصطحبتني إلى هنا ؟ إني لم أرك منذ الفترة بين وصولنا إلى "ماراسيف" ورحيلنا في هذه الهليكوبتر . لقد أراني "جالبريث" – بكل لطف – المدينة بكل ما فيها خاصة نخيلها .

وهانذا الآن في قصر حقيقي من العصور الوسطى. إني في حيرة تامة.

بدا "كلانسي" قلقا أو ربما يكون قد تظاهر بذلك . فأسرعت "ليزا" بإضافة :

– محتارة ومبهورة.

قال مشيرا بيده إلى القصر :

– هذا ما كنت أريده . كنت أعتقد أنه ينبغي أن نقضي معا بضعة شهور قبل أن أدفع بك في دوامة حياة "ماراسيف" . أترين هذه القلعة؟ إنها ليست برجا من عاج لكني أجد أنها تليق بأميرة. ستكون لك حجرة فيها .

يالها من حركة مؤثرة! شعرت "ليزا" بالدموع تلسع جفونها.

– أتعلم يا "كلانسي" : لم تعد لي عقلية أميرة . إنما غاية ما في الأمر أرغب في أن أكون امرأة...

ثم تمتمت وقد تذكرت كلماته لها في الطائرة:

– امرأة ذات كرامة وعلى خلق.

– أما أنا فإني أخشى أن أبدو سخيفا وأنا أقوم بدور فتى الأحلام.

– لقد كانت فكرتك رائعة يا "كلانسي" باصطحابي إلى هنا . أي امرأة لاتحب أن يكون قصر مثل هذا تحت تصرفها ؟ أخشى ألا أكون جديرة بهذا التقدير .

– بلى إنك تستحقينه !

ثم لاطف وجنتها ، فما كان منها إلا أن أجابته بابتسامة .

– ليس من الضروري أن تكون لك عقلية أرستقراطية يا "ليزا" لكي تكوني أميرة... ينبغي أن أقدم لك "كيرا" . المهم هو أن تجدي استقرارك ومتعتك هنا .

صاحت في الحال :

– أوه ! إني أتمتع هنا !

ثم شبت على أطراف أصابعها لكي تقبل جبينه :

– لي رغبة ملحة في البدء في زيارة المدينة يا "كلانسي" .

قال ممسكا بكوعها لكي يقودها :

– سنقوم بالجولة كاملة لكل الأماكن غدا. لنبدأ الآن في البحث عن "مارنا" مديرة القصر. بعد ذلك أمامك الوقت للاستعاش بأخذ دش قبل العشاء.

– كلمني عن "مارنا" .

– كانت مرضع "كيرا" . تمسكت "كيرا" باصطحابها إلى هنا عندما تعقدت الأمور في "تامروفي" . وهي الآن مديرة هذا القصر.

– آه ، هل كانت هناك أمور معقدة ؟

– أحداث دبلوماسية، كانت "كيرا" قد اندمجت فيها ، ولحسن الحظ انتهت على أحسن حال وإلا لكانت "مارنا" تعرضت للاغتيال من أجل

حماية "كيرا" : وهي عملاقة تبلغ من الطول مترا وأربعة وثمانين سنتيمتر ذات كتفين عريضتين مثل المقاتلة ، وكان الفستان الأنيق الأسود الذي كانت ترتديه لايتناسب معها أبدا . كما أن شعرها الأسود الجاف المقصوص على تسريحة "جان دارك" كان يبرز فكيها القويين .

تأملت هذه الأخيرة "ليزا" بنظرة غاضبة وهي تمد لها يدها : يد كبيرة بدت وكأنها ستخطف يد "ليزا" .

قالت بلهجة أوربية :

– صباح الخير يا سيدتي .

التفتت بعد ذلك إلى "كلانسي" ثم تغيرت ملامحها إذ بدت أرق من ذي قبل ، وكان هذا بطريقة تدعو للدهشة :

– لقد أعد كل شيء حسب تعليماتك يا سيد "دوناهي" . هل ستكونان على استعداد لتناول العشاء بعد ساعة ؟

– نعم يا "مارنا" وشكرا على كل حال .

– عفوا . حسنا أن يجد الخدم ما يشغلهم؛ إذ لم يكن لدينا أي زيارات منذ عدة شهور، أي بالتحديد منذ رحيل "كيرا" .

– أوه! إني واثق بأن الخدم لن يتكاسلوا مادامو تحت إشرافك . إنك ممسكة بهم بيد من حديد . إنهم يخافونك يا "مارنا" .

– وهو ما يلزم يا سيد "دوناهي" ، إنك خير من يعلم ذلك، ربما أكثر من.

التفتت نحو "ليزا" :

– إذا أردت أن تتبعيني فسوف أصطحبك إلى حجرتك . أتعشم أن تناسبك . إنها حجرة الحصن، وهذا بناء على طلب السيد "دوناهي" .

قالت "ليزا" بنبرة ودية :

– إن هذه الحجرة لها كل المميزات التي تعجبني .

نزلت "مارنا" الدهليز، أما "ليزا" فقد ألقت نظرة إلى "كلانسي" قبل أن تسير جنبا إلى جنب مع "مارنا" :

– هل تأتي ؟

– ليس الآن . أمامي احتياطات وجب أن أتخذها لكني سأحضر

لاصطحابك للعشاء خلال ساعة .

– من أجل "مارتن" ؟

– في الحقيقة لا يشغل فكري سوى مشكلة "بالدوين" لكن لا تقلقي؛ لأنه لن يظهر الآن، وحتى في حالة ظهوره ثانية فستكونين في أمان معي .

لكن في الواقع هل "كلانسي" يعتبر في أمان؟ إن "مارتن" كان جسورا جدا معه في "باراديز كاي" ! عملت "ليزا" على الابتسام حتى تطرد أفكارها السوداء . لابد أن تكون السهرة في أفضل ظروف الرعاية . ثم أردفت "ليزا" :

– أعلم أنك كفيل بحمايتي . كما أني أعدك بألا أغادر حجرتي حتى عودتك . إن القصر واسع جدا... وأخشى أن أتوه فيه... كم عدد حجراته؟

– اثنتان وثلاثون حجرة عدا مناطق الخدم .

– إنك تبالغ بعض الشيء عند تنفيذ الأمور . إنك كريم جدا يا "كلانسي" بوضع قصر تحت تصرف سيدة!

كانت "مارنا" قد توقفت في الدهليز، وكانت تتفحصها بعينيها السوداوين المليئتين بالأسرار والغموض .

– انتظري يا "مارنا" . ينبغي أن أتبعها يا "كلانسي" حتى لا أضل الطريق . إلى لقاء قريب .

– إلى اللقاء .

كان "كلانسي" يتابعها بنظره وهي تصعد برشاقة الدرجات المصنوعة من الحجر .

التفتت لكي ترسل إليه إشارة صغيرة بيدها . امتلأ على إثرها "كلانسي" بالسرور والانطلاق... ستكون له هذه السيدة هذا المساء وربما تكون له دائما إذا كان محظوظا .

وعندما اختفت اتجه إلى المكتبة . وبعد دقائق كان على اتصال تليفوني مع "جالبريت" في "ماراسيف" .

– هل من جديد ؟

– لا شيء . لقد أوصيت "بيرتولد" أن يظل ساهراً في حالة عودة

"بالدوين" إلى "باراديز كاي"، ولقد أنذرت وكلاءنا في الولايات المتحدة لكنك لا تعتقد أن "بالدوين" سوف يُظهر نفسه هناك. أليس كذلك؟

– لا، بل أعتقد أنه سيتوجه إلى "سعيد أبادا"؛ لكي يلتقي بزملائه الإرهابيين لأنه يعلم أنه سيكون هناك في أمان.

ثم أضاف بنبرة جافة:

– ومع التواطؤ الذي لهم في "سيدي خان" لن يجد "بالدوين" صعوبة في اكتشاف المكان الذي تقيم فيه "ليزا". لن يقاوم الرغبة في إيجادها هنا.

– أليس من الأفضل أن تعود إلى "ماراسيف" معها؟ إنكما في عزلة تامة في الصحراء.

– بالعكس. إننا في الصحراء يسهل علينا ملاحظة أي أمر يكون غير طبيعي وهو وضع غير قائم في مدينة مزدحمة مثل "ماراسيف". أرجو أن ترسل لي غدا خمسة من أفضل رجال الأمن على أن يتقدموا بصفة خدم. أنا لا أريد إزعاج "ليزا" ولا التسبب لها في مزيد من القلق.

– لكن ألبست لكما نية البقاء هناك بصفة دائمة؟

– كلا. سنبقى حتى نضع أيدينا على "بالدوين". من البديهي أني أفضل أن يتم الإمساك به عن طريقكم. قبل أن نضطر إلى مواجهته هنا. أعتقد أني لا أحملكم أكثر من طاقتكم... ولي بكم كل الثقة.

أجاب "جالبريث":

– سأحاول. ماعدا تخطي حدود "سعيد أبادا". هل هذا يناسبك؟

– بالضبط! ممتاز وأرجو أن تكون على صلة دائمة بي.

وضع "كلانسي" السماعة وكانت تلاحقه بعض المخاوف بخلاف عادته: إن مصير "ليزا" في اللعبة.

نظر إلى ساعته عند خروجه من المكتبة: لقد مضى ربع ساعة وكان عليه أن يأخذ دشا، وأن يبدل ملابسه قبل الذهاب إلى "ليزا"...

بالتأكيد إن بذلة سموكينج أنيقة لن تحوله إلى فتى أحلام من الزمن الحاضر غير أنه كان في إمكانه أن يجرب حظه.

*****

كان العشاء مقدما في صالة طعام صغيرة بيضاوية، وليس في القاعة الكبيرة ذات السقف الفاخر ذي النقوش الذهبية، وهو من الأمور التي عملت على ترضية مزاج "ليزا".

كان موضوعا على المائدة شمعدان من الفضة، وكان على ضوء شموعه لا يستطيع الحاضر أن يشاهد القماش المزركش– الذي كان على الحوائط وقد بلي مع الزمن– إلا بصعوبة.

كانت الفتاة التي تخدمهما عصبية بعض الشيء. وقد تسببت في سقوط الصلصة على المفرش الأبيض وهي تقدم البط بالبرتقال إلى "ليزا" ثم وقفت تنظر إلى البقع فزعة.

حينئذ سحقتها السيدة "مارنا" بنظراتها؛ لأنها كانت واقفة عن يسار الباب. من شدة خوفها اضطرت المسكينة إلى ترك الطبق على المائدة والهرب من الحجرة جرياً.

سألت "ليزا":

– ماذا بها؟

أجابت "مارنا" وهي تهز كتفيها:

– لا شيء. آسفة لما صدر من هذه الغبية؛ لأنها تصرفت بقليل من المرونة. سأرسل خادمة أخرى لباقي الوجبة. ثم غادرت الحجرة بخفة أخاذة.

حينئذ بادلت "ليزا" "كلانسي" نظرة مرح:

– إن "مارنا" تبدو مرعبة! لقد أخجلتها!

– إنها غجرية أصيلة. كل طاقم الخدمة يخشاها، يخشى أن تلحق بهم الضرر بواسطة سحرها.

– غجرية؟!

– من أقوى قبائل "تامروفي".

– لكن كيف يحدث أن يقع الاختيار على غجرية لكي تكون مرضعاً في الأسرة الملكية؟

– إنه التقليد. إذ كانوا فيما مضى يعتقدون أن الغجريات لهن قدرة سحرية عظيمة، وأنه يحسن استخدامهن لخدمة أطفال الملوك، وشاء العرف

أن تكون قبيلة "مارنا" هي التي تهب مرضعاً لكل جيل ، ولسوء الحظ لقد اخطأوا باتخاذ "مارنا" فور ولادة "كيرا" .

– ولماذا لسوء الحظ ؟

– لأن العمل على مزج طبيعة غجرية مثل "مارنا" بطبع "كيرا" المندفع يكون بمثابة سكب الزيت على النار. ثم رفع قدحه :

– إنه موقف متفجر .

تمتمت "ليزا" :

– إني أعتبره مثيرا .

– لمن يميل إلى اللعب بالديناميت، أنا شخصيا أفضل المواقف الهادئة، هل قلت لك كم أنك جميلة هذا المساء؟ أحب جلبابك .

– وأنا أيضا ...

أخذت تتحسس التطريز الوردي الذي كان على صدرها، كانت تعلم أن هذا اللون مناسب جداً للون شعرها وبشرتها . علما بان هذا النمط من الملابس يتناسب أكثر مع قصر من الشرق الأوسط عن قصر من العصور الوسطى .

– ليس مؤكدا ! إني أتخيل أن بعض فرسان الحروب الصليبية كانوا يرتدون جلابيب مطرزة فاخرة مثل هذه من أجل سرور صاحبة القصر .

– لم أفكر في ذلك ...

في الواقع لم تكن أفكارها واضحة...وكانت تشعر بالعصبية إلى حد جعل كفيها قد ابتلتا. تحاملت على نفسها؛ لأنها تصرفت مثل فتاة صغيرة عند حبها الأول.

ندمت على أنها لم تسحر "كلانسي" عند تواجدهما على الطائرة. كان ينبغي أن تتصرف بطريقة طبيعية وبعاطفة... بينما حاليا كانت "ليزا" تعاني مخاوف كثيرة بالنسبة لليلة لقائها بـ"كلانسي" .

أردف "كلانسي" وهو يغمز لها بعينه مشجعا :

– إنك لا تأكلين شيئا. انتبهي ! لا تخيبي أمل "مارنا" ؛ لأنها قادرة على أن تلحق بك مصيرا سيئا .

– هل من أجل ذلك اصطحبتني إلى هنا؟ لكي تنجح "مارنا" فيما

فشلتما فيه أنت و"جالبريت" ؟

عاد إلى الجدية. أجاب بنبرة وديعة وصوت ناعم ارتبكت له "ليزا" : – إنك تعلمين تماما لماذا أنت هنا .

تاثرت "ليزا" من هذه الكلمات البسيطة إلى درجة جعلتها غير قادرة على التنفس. كانت ترى لهب الشموع ينعكس على عينيه الزرقاوين لكن لم يكن هذا وحده هو مصدر لمعانهما.

كان جو الحجرة البيضاوية مشبعا بالكهرباء، بالرغبة في التواجد معا، لماذا تناولا موضوعات من هذا النوع ؟

عملت على التنفس بعمق واستطاعت حينئذ أن تتكلم :

– يبدو أنك أيضا يا "كلانسي" قد فقدت شهيتك. هل في إمكاننا ترك هذه الوليمة دون أن نجلب على رؤوسنا غضب "مارنا" ؟

وضعت منشفتها على المائدة ونهضت في الحال :

– ليتنا نتمكن من الهرب قبل أن تعود من أعماق المطبخ ...

دار حول المائدة وأمسك بذراع "ليزا" .

– هيا بنا !

غادرا الحجرة جريا مثل أطفال مخطئين وتواجدا وجها لوجه مع "مارنا" في الدهليز المظلم .

استفسرت وهي تهز حاجبيها السميكين الأسودين :

– ألا ترغبان في تناول التحلية ؟

هز "كلانسي" رأسه ثم قال :

– السيدة "لاندون" في احتياج إلى استنشاق قليل من الهواء النقي. سنصعد للقيام بجولة صغيرة على سور الحصن .

ابتسمت "مارنا" بابتسامتها الغامضة المعتادة :

– حسنا أن يرضي شخص رغباته في الحال كما أن التصرف بخلاف ذلك ضار بالصحة. طاب مساؤك يا سيد "دوناهي" .

ابتعدت في الظلام، وكانت "ليزا" تتاملها دهشة. تمتمت إذ شعرت بالفزع :

– إن هذه السيدة ساحرة حقيقية، وكأنها تقرأ أفكارنا ونياتنا .

قال "كلانسي" :

– لا أعتقد أن يكون من الصعب أن تخمن نياتنا يا "ليزا"، وهذا لا يمنع من أن تكون "مارنا" لها الرؤية المزدوجة .

أمسك – بعد ذلك– بيدها واقتادها إلى السلم، وعندما وصلا إلى أول بسطة التفت إليها غير واثق. سألها :

– هل ترغبين حقا في الذهاب إلى أعلى ؟

– أين ؟

– فوق. على السور أعلى الحصن، في ضوء القمر. ليس أكثر من شاعرية في هذا المكان، أليس كذلك ؟

تأملته بمزيج من الحنان والإثارة :

– لقد قمت بواجبك يا "كلانسي"، لقد أقمت من حولي مناخا شاعريا تحلم به كل النساء...

ابتسم :

– إنك صريحة وأنا أقدّر السيدات اللاتي يعلمن ما يرغبن فيه .

ثم قادها إلى الطابق الثاني بسرعة جعلتها تنطلق في ضحك مرح. ثم حملها بين ذراعيه قبل أن يجتاز الدهليز المصفح :

– إنها آخر حركة رومانسية لي. كنت أتمنى أن أحملك بين ذراعي لصعود السلم مثل "ريت بيتلر" الذي كان يحمل "سكارليت أوهارا" في فيلم "ذهب مع الريح" لكني فضلت الاحتفاظ بقوتي لما بعد .

وفُتح بابا في آخر الدهليز وولجا في قاعة واسعة أشبه كثيرا بالحجرة التي كانت "مارنا" قد اصطحبت "ليزا" إليها عند وصولها إلى القصر . ثريات عديدة من الكريستال البوهيمي كانت تضيء هذه الغرفة الجميلة. لاحظت "ليزا" سجاجيد شرقية على الأرض وأغطية على الحوائط وسريرا كبيرا ذا قبة .

– إن المناخ الشاعري ليس كل شيء يا "ليزا" .

تمتمت "ليزا" وهي تبتسم :

– "كلانسي" ؟

لماذا كان يبدو غير مسرور؟ هل كان غير واثق بسحرها ؟

كررت بوداعة :

– "كلانسي" . إننا لسنا في احتياج إلى الجو الشاعري، ألا ترى أنك أنت ذاتك شاعري؟ إنك جميل، شجاع وذكي أيضا .

– شكرا على تقديرك لصفاتي .

أخذ يلاطف وجنتها ثم منحها قبلة خاطفة، أردف بعد ذلك :

– أشعر وكأني انتظرت هذه اللحظة عشر سنوات على الأقل .

وإذ اقشعرت احتمت "ليزا" فيه؛ فشعرت بضربات قلبه السريعة. أغلقت عينيها.

– "ليزا" ! "ليزا" !

بعد أن ناداها عمل على حل الحلقة الذهبية التي تضم شعرها...

فتحت "ليزا" عينيها .

استطرد "كلانسي" :

– أرغب في البقاء معك. لا تنامي .

انتصبت حينئذ . قبّلها قائلا :

– المعذرة. يبدو أني لا أجيد التصرف كرجل مختبر أصول الرومانسية .

– لا، بالعكس يا "كلانسي" . إن تصرفاتك تسبق كلماتك .

ثم أزاحت خصلات شعره عن جبينه وابتسمت وسط الدموع التي كانت تملأ عينيها .

اقترب بشفتيه من جبينها وطبع قبلة حانية .

ثم قال لها :

– نامي قليلا يا عزيزتي. سنعمل بعد ذلك على إدخال بعض التغييرات على طريقة مخاطبتنا الجديدة .

الفصل العاشر

فتحت "ليزا" عينيها عقب ملاطفة "كلانسي" لها، وابتسمت وقد بدا عليها السرور. كان "كلانسي" يراقبها. تمتم :

– ألم تنامي؟ ولن تنامي ؟

– نعم لم ولن أنام .

ثم انتصب ووقف يتاملها باكثر تدقيق.

تمتم :

– ألم أخبرك قبل الآن أنك رشيقة ؟

– أعتقد أننا لم نتناول هذا الموضوع قبل الآن. كل ما أعرفه أني كنت أشعر بأنك تراني نحيفة إلى حد ما .

أخذ يمطرها بقبلات صغيرة. ثم استطرد :

– أتعشم ألا تكون نحافتك سبب متاعب لك مع الطفل.

– الطفل! تجمدت "ليزا" ... ثم أنارت الفرحة وجهها.

قالت :

– لم تكن لي أي صعوبات مع "تومي"، اطمئن.

قال :

– أما أنا فإني كبير وقوي. ليت طفلنا يكون هكذا.

رفعت يدها وأسكتته بوضع أصابعها على فمه:

– هس! سيكون جميلا. لا تقلق.

أمسك بأصابعها النحيفة ثم قبل راحة يدها... ثم استمر في تقبيلها في كل مكان . تمتم :

– ألست نادمة؟ ألم تغيري رأيك ؟

– لا! بتاتا .

استطرد "كلانسي" :

– أشعر بأني ساكرس وقتي للبقاء إلى جانبك في انتظار طفلنا.

– وعملك ؟

– في إمكاني منح نفسي إجازة طويلة؛ لأني أفضل منح مشروعنا الجديد كل طاقاتي .

أردفت "ليزا" وهي تقبله :

– إن الأولوية لك في كل شيء.

*****

– إلى أين تذهبين ؟

وجّه لها هذا السؤال عندما رآها تضع جلبابها وصندلها الذهبي. وإذ فوجئت لسؤاله؛ أجابت :

– أنا لم أشأ أن أوقظك. إني أنوي العودة إلى حجرتي، والآن سأذهب لأخذ دش قبل تناول الفطور. لم أكن أتوقع منك كل هذه الجاذبية... وفي النهاية! هكذا أضافت وهي تغمز له بعينها .

– لا. كان من المفروض أن تتوقعي. وأعتقد أني وإن كنت على قدر بسيط من الرومانسية إلا أنني لست غبيا.

شبّك ذراعيه تحت رأسه وابتسم. قال :

– أما اليوم فإني أنوي أن أتحول إلى ناقد. إنه دور يناسبني على المجال النفسي وبنفس القدر على المجال الطبيعي. تعالي يا "ليزا" .

ساورتها رغبة في العودة إليه بين ذراعيه. ثم قالت:

– أرى أنه من الأفضل أن نعود إلى المناقشة في هذا الموضوع بعد تناول الإفطار. وجب الآن أن تستريح. أنا لا أرغب في أن أراك مرهقا؛ حتى تصبح خيالا، ثم اتجهت ناحية الباب الذي فتحته ببطء، والتفتت بعد ذلك نحو السرير :

– المقابلة بعد ساعة في حجرة الطعام!

لفت نظرها كيس صغير من الجلد معلق في مقبض الباب بشريط أحمر. حلته وقيمته في يدها :

– انظر يا "كلانسي"! ما عسى أن يكون هذا؟! لقد وجدته في مقبض الباب .

دخلت الحجرة، ابتسم "كلانسي" :

– إني أرى فيه أعمال "مارنا". لابد أن تكون تميمة. لقد سبق لي أن صادفت مثلها معلّقة على باب "كيرا" .

رفعت "ليزا" الكيس إلى أنفها وشمته:

– ليست له رائحة الثوم. إذن فهو ليس لحمايتنا من الحيات... إني أتساءل: إلام يشير هذا؟

– إني أجهل هذه الأمور. لماذا لا تتوجهين إلى "مارنا" وتسالينها؟ على

أي حال كانت لي نية الاتصال تليفونيا بـ"اليكس" قبل الفطور.

– أتعتقد؟ إنها معلّقة على بابك وليست على بابي، ومن الممكن أن تجيبني بأن هذا الأمر لا يخصني.

– أمور كثيرة تدهشني؛ إذ إنه لا يخفى عليها شيء مما يحدث هنا. أنا واثق بأنها تعلم أننا كنا معا المساء السابق ثم أضاف:

– يقال: إنها قد أصبحت العادة الآن أن تكون حجرة لكل من الزوجين. ثم أضاف:

– لكني أفضل أن تكوني هنا عندي... وساعمل على عدم مضايقتك.

– وأنا أيضا يسعدني، إذا شئت ففي إمكاني نقل حاجاتي عندك بعد تناول الفطور.

– لن تندمي بعد ذلك؟ يبدو أن حجرة الحصن تعجبك.

– إن الأبراج والحصون عادة ما تكون أماكن معزولة. أفضل المجيء إلى هنا لأكون معك. ثم ألقت إليه قبلة بيدها وأغلقت الباب. كانت خطواتها خفيفة ومرحة مثل مزاجها، وكأنها محمولة على أجنحة السعادة. اضطرت إلى البحث عن طريقها في ممرات القصر الطويلة.

كانت "ليزا" في الليلة السابقة – عندما كان "كلانسي" يقوم بدور الـ"ريت بيتلر" – لا ترى سواه، ولم تكن لها أي فكرة عن المبادرة التي اتبعها.

أخيرا وجدت جناح القصر الأيمن وعادت إلى حجرتها مطمئنة.

قالت بصوت خافت وهي تفتح الدولاب الكبير:

– لنر ما سوف أرتدي لتناول الفطور!

وكم دهشت عندما وجدت الدولاب شبه فارغ: بالضبط روب دي شامبر– بلوزة وبنطلون. أين ملابسها؟ علما بأنها كانت قد عنتها بعناية في الليلة السابقة قبل الذهاب إلى العشاء.

أخذت الروب ثم سارت إلى الكومودينو: قليل من الملابس الداخلية في الدرج الأوسط. ولقد اختفى الباقي كله لكنها وجدت كل لوازم الماكياج في مكانها.

هل هي "مارنا"؟ إن الخادمات لا يجرؤن– بالتأكيد– على الاقتراب من

ملابسها دون أوامر أو تصريح من المديرة؛ لذا أصبح هذا الأمر موضع تساؤلات تضاف إلى أمر التميمة.

بعد أن أنهت "ليزا" زينتها غادرت حجرة الحصن؛ لكي تلتقي بـ"مارنا"، وأخيرا وجدتها – بعد البحث عنها – في المطبخ وكانت واقفة أمام فرن "الترا–مودرن" بصحبة شاب يرتدي ملابس بيضاء.

التفتت إلى "ليزا":

– إن وجبة الفطور ستقدم لكما في ظرف عشرين دقيقة يا سيدتي. هل ترغبين شيئا آخر؟

– لا شكرا. إني... أنا...

– أقدم لك "حسن" الطاهي يا سيدة "لاندون". إنه هو الذي قام بإعداد وجبة العشاء مساء أمس.

ابتسمت إلى "حسن" وكانت ابتسامتها حارة. الأمر الذي هز "ليزا":

– كان حقا عشاء ممتازا. أقدم لك جزيل شكري على جهودك... آنسة "ديبوك": هل من الممكن أن أتحدث معك لحظة؟

– ناديني "مارنا". نستطيع الصعود الآن. لقد انتهيت من عملي هنا...

– "حسن" شاب ممتاز. مستقر، إنه لا يشبه الأغبياء الآخرين.

– الأغبياء؟!

– نعم السخفاء، الأغبياء. إن الأغبياء يخشون كل ما لا يفهمون.

– بالضبط. أنا أيضا أمامي أشياء لا أفهمها، وأتمنى أن تقومي بتفسيرها لي.

– لكنك لا تخشين طلب معلومات عنها أما هم فإنهم يهربون ويختفون بدلا من أن يسعوا إلى تفهم الأمور. أتتذكرين هذه الصغيرة غير الماهرة التي قدمت لك البط بالبرتقال مساء أمس؟

حكت "ليزا" رأسها.

– لقد هربت – الليلة الماضية – دون أن تكون لي فرصة التحدث معها أو لومها. لقد عادت إلى قريتها. يا لها من غبية!

– لابد أنها كانت تخشى تأنيبك لها... أشعر بأنك تعملين على أن يخشاك كل العاملين معك.

أجابت وهي تتفحص "ليزا" بنظرات احترام :

– نعم إنها حقيقة . إن الأغبياء يضايقونني بكثرة غبائهم !

– وما مصير هذه الصغيرة ؟

– "ليا" ؟ إنها تجيد مهنتها . سارسل من يحضرها أو أذهب إليها بنفسي .

– عفوا . هل من الممكن– قبل أي حديث– أن تجيبيني على بعض الأسئلة ؟

– أمر طبيعي . ما الذي تريدين معرفته ؟ هل يجب أن أذهب لأخذ لعبتي . لعبة الورق ؟

حرصت "ليزا" على إخفاء دهشتها وأجابت :

– قد لا يكون ضروريا . إني أريد فقط معرفة أين ملابسي ؟

– حاليا لابد أن تكون قد وضعت في حجرة السيد "دوناهي" ؛ لأني كنت قد أمرت إحدى الخادمات– مساء أمس– بأخذها وكيّها كما أنها أمرت هذا الصباح بوضعها في حجرة السيد "دوناهي" . أخبريني إذا كانت قد أجادت ترتيبها . إنها غبية هي أيضا .

– ولماذا لم تتركيها في حجرتي ؟

أجابتها "مارنا" بكل بساطة :

– لأنك ترغبين مشاركة السيد "دوناهي" في حجرته و... وسريره أيضا . كانت هذه أغلى أمنية له .. لقد أفيتك من عناء عملية النقل إذ قد تكفلت بها .

– لكن كيف ...

ثم صمتت "ليزا" فجأة . إن أمر تغيير الحجرة لم يطرح إلا هذا الصباح، و"مارنا" كانت قد قامت بكل هذه الإجراءات مساء أمس .

سألتها :

– إنك مسرورة يا "ليزا" . أليس كذلك ؟

– نعم ، لكن ...

– حسنا، سوف أرسل من يحضر ما تبقى من ملابس بالحجرة . إن هذا في صالح السيد "دوناهي" . إنه من الأشخاص الأسطوريين، سيكون له ابن قوي جدا .

كررت "ليزا" مندهشة :

– أشخاص أسطوريون ؟!

أحست وكأنها تعيش في عالم الأساطير .

– إن الأسطوريين هم الأشخاص المتميزون الأقوياء . هل حكى لك كيف ساعد "كيرا" على إخراجي من "تامروفي" ؟

– لا، لم يكلمني عن ذلك .

– ومع ذلك كان "ستيفان" هذا الغبي يعتقد أنه سيغلب! لكن "كيرا" وهو كانا أذكى منه .

– الملك "ستيفان" ؟

أكدت كلامها وهي تحك رأسها :

– نعم شقيق "كيرا" .

– "ستيفان" ليس أسطوريا ؟

– لا، إنه غبي .

– أرى ....

في الواقع لم يكن هناك شيء لكن "ليزا" كانت لا تريد أن يزداد شكّها بمواصلة الحديث مع "مارنا" .

كانت "مارنا" موشكة على الابتسام عندما أضافت "ليزا" :

– ينبغي أن تعترفي بجميل "كلانسي" بالنسبة لمعاونته لك .

– أمر طبيعي . لماذا تعتقدين أني أعددت الشميمة المعلّقة على بابه؟

الشميمة؟! دست "ليزا" يدها في جيب بنطلونها وأخرجت منه الكيس الجلد الصغير . قالت :

– هذه الشميمة ؟

أجابت "مارنا" مسرورة :

– نعم . أقوى ما قمت بعمله حتى الآن .

– وما منفعتها ؟

– في نيل الرغبات .

ثم سألتها وهي تقترب منها :

– هل في إمكاني لمسك ؟

– إذا شئت .

وضعت كفها العريضة على بطن "ليزا" وأغلقت عينيها. ركزت لحظة ثم رفعت يدها وتراجعت :

– نعم، لا شك في ذلك. هذا ما كنت أعتقده. إن التميمة التي أعددتها قوية جدا .

أردفت "ليزا" وكانت في أقصى حالات الضيق :

– إنك لم تجيبيني : فيم تفيد هذه التميمة ؟

– إنها تميمة الإخصاب. إنكما ترغبان – كلاكما – في طفل. إنه لكما حاليا. إنه ولد جميل، وسوف يصبح ذات يوم أسطوريا مثل والده .

التفتت متأهبة للانصراف تاركة "ليزا" صامتة من فرط الدهشة. ثم أضافت :

– لكن ينبغي أن تأكلي أكثر مما أكلت مساء أمس بدءا من الآن؛ لأن نحافتك هذه لا تلائم الجنين يا سيدتي .

نظرت "ليزا" إليها وهي تبتعد متسائلة عما إذا كانت هذه السيدة العجيبة لن تعد لها تميمة تعمل على فتح شهيتها مادامت طريقتها في التغذية لا تناسبها. ياله من عالم غريب في هذا القصر الذي يرجع إلى عصر آخر! هزت رأسها لكي تحاول الوقوف على الحقيقة .

– ماذا حدث ؟

التفتت. كان "كلانسي" خارجاً من المكتبة. لقد أتى ليلحق بها. سألها :

– هل تشعرين بمتاعب ؟

– لا أدري. كنت أتحدث مع "مارنا" . وهانذا مرتبكة .

بدت ابتسامة بسيطة على شفتي "كلانسي" :

– كان ينبغي ألا أشك في ذلك. لا غرابة في ذلك مع هذه السيدة. هل اكتشفت استخدام التميمة ؟

ابتسمت :

– قد يبدو أنك لست وحدك في اللعبة لتحقيق مشروعنا .

رفعت "ليزا" التميمة إلى أعلى :

– إنها لأجل الإخصاب .

ضحك "كلانسي" :

– كنت قد استنتجت ذلك .

– ولماذا احتفظت بالصمت ؟

– لأنه– يا عزيزتي– من الصعب القيام بوصف شخصية مثل "مارنا" ؛ إذ ينبغي سماعها ورؤيتها أثناء شرحها .

سألته بقليل من التردد :

– مازلت أشك في ذلك. أتعتقد أنت يا "كلانسي" في قصة التميمة هذه؟ لابد أن تكون "مارنا" قد لحقت بي مصيرا... لقد نجحت في إقناعي بما تحكي .

كان "كلانسي" يبدو ساهما في هذه الأثناء :

– لقد عشت فترة ليست بالقليلة حتى أنكر حقيقة قدرة هذا النوع. لقد رأيت "مارنا" وهي تحصل على نتائج جيدة... من يدري؟

وضعت "ليزا" – لا إراديا– يدها على بطنها على نفس المكان الذي كانت "مارنا" لمسته منذ لحظة مضت، أمن الممكن أن تكون هذه السيدة رأت– بالضبط– أن طفلاً يتكون فيها؟

قالت بصوت منخفض :

– سيكون ولداً .

– ماذا ؟!

– "مارنا" أخبرتني أن التميمة عملت على أن أحمل في أحشائي ولداً منك .

حينئذ أشرق وجه "كلانسي" بصورة لن تنساها "ليزا" أبدا. ثم تمتمت :

– من الممكن أن تخطئ. كيف استطاعت معرفة ذلك ؟

تخطى "كلانسي" المسافة التي كانت تفرقهما ورفع ذقن "ليزا" براحة يده حتى يتمكن من رؤية عينيها. كانت نظرة عينيه الزرقاوين رائعة جعلت حلق "ليزا" ينعقد .

مال عليها وقبلها قبلة عذبة على جبينها :

– مهما كان الأمر فإننا لا نستطيع الاستمرار في تعليق جهودنا على هذا

الأساس يا عزيزتي؛ لأنه في الواقع كيف تستطيع "مارنا" معرفة أمر كهذا ؟

قبلها ثانية ثم أحاط كتفيها بذراعه؛ لكي يقودها إلى القاعة الصغيرة حيث كانت قد تناولت عشاءها الليلة الماضية :

– هيا نتناول طعامنا يا "ليزا" . لن يضايقك أن تأكلي أكثر في هذه الأيام في حالة ما تكون "مارنا" صائبة في رؤيتها.

تنهدت "ليزا" :

– إنه ما دعتني إليه "مارنا" الآن. لحسن الحظ أن "جالبريت" ليس هنا؛ لأنه هو أيضا كان سيقول لي نفس الكلام .

ابتسم "كلانسي" :

– ستحصلين على نصائح صائبة كثيرة مني ومن "مارنا" من الآن فصاعدا .

صاحت إذ فكرت في أنها لن تقدر على مقاومة غجرية يقظة ومحب أمين في آن واحد :

– آه ! نعم ! حقا ؟!

الفصل الحادي عشر

– مرة أخرى! لقد أخبرت "ليا" أنه لم تعد لي رغبة في شربه.

هكذا قالت "ليزا" متذمرة عندما رأت كوب اللبن المثلج الذي كانت تحضره لها "مارنا" على صينية.

أجابت "مارنا" بلهجة صارمة :

– من أجل ذلك عدت به بنفسي ولم أشأ إلزام "ليا" بالصعود مرة أخرى؛ لأني أعلم ما تُظهرين من عدم تعقل. إنك تعلمين جيدا أنه يلزمك شرب اللبن .

ثم مدت لها يدها بقبعة من القش ذات إطار واسع :

– وخذي هذه أيضا. إن الشمس والهواء الطلق مفيدان جدا لك بشرط أن تقي رأسك من الشمس.

وضعت "ليزا" القبعة على رأسها :

– إني أبتلع كل ما يمكنني العثور عليه من أقراص كالسيوم وڤيتامينات، ولست بالضرورة في احتياج إلى اللبن. ثم أخفضت عينيها على الفستان الواسع الذي كانت ترتديه :

– إذا كان الصغير يعاني شيئا فهو من زيادة جرعة الڤيتامينات والأملاح المعدنية !

"أمر عجيب!" هكذا قالت لنفسها. إني أتكلم عن الصغير وكأني أقصد به الولد الذي وعدتنا به "مارنا" !

أردفت "مارنا" :

– لقد أخبرنا الطبيب أن اللبن...

قاطعتها "ليزا" وهي تمسك بالكوب الذي تناولته دفعة واحدة :

– اتفقنا، اتفقنا .

ثم أضافت وهي تضعه على الصينية :

– هل سررت الآن يا "مارنا" ؟

حكت "مارنا" رأسها :

– أيضا كان لا ينبغي أن تنفعلي. هذا أيضا يسيء...

أكملت "ليزا" بنبرة ملل :

– إلى الطفل. أعلم ذلك يا "مارنا" !

كانت "ليزا" صبورا عادة ،لكنها اليوم كانت تعيش على أعصابها. أما "كلانسي" فكان متغيباً للمرة الأولى منذ أربعة شهور ونصف الشهر منذ دخولها إلى القصر. كان قد تركها الليلة الماضية بناء على اتصال تليفوني من "اليكس" حتى يتوجه إلى "ماراسيف" .

ولما كان من المفروض أن يعود قبل المساء فقد صعدت "ليزا" إلى أعلى الحصن للاستفادة من شمس فترة بعد الظهر من جانب، ومن الجانب الآخر لكي تتمكن من رؤية الطائرة الهليكوبتر التي تقل "كلانسي" من على بعد.

– أخيرا !

كانت "ليزا" تحكم على نفسها بأنها مازالت طفلة. بالتأكيد بمعاناتها إحساسا بالفراغ لغياب "كلانسي" ؛ لأنه عندما تغيب –فيما مضى–

"مارتن" عدة شهور متوالية بعد زواجهما بقليل لم تشعر بفراغ أو اشتياق ناهيك عن أنها- في هذه الفترة السابقة- لم تكن قد عرفت معنى مشاعر الحب الحقيقي.

أغلقت عينيها وتنهدت. ربي! إنها تحب "كلانسي"! كم كانت تخشى ألا تطول مدة ارتباطهما!

كانت "ليزا" من فرط الأحاسيس التي يوحي إليها بها "كلانسي" تخاف على حياته كلما ابتعد عن عينيها.

وعندما لاحظت أن "مارنا" مازالت بالقرب منها قالت:

- المعذرة يا "مارنا". إني أشعر بالعصبية بعض الشيء اليوم؛ لأنه كانت لي رغبة قوية في مرافقة السيد "دوناهي" إلى "ماراسيف"

- قد تكون فيها مخاطرة! تذكري تعليمات الطبيب.

- إن فترة حملي الأولى كانت سهلة جدا.

- لكنك الآن قد تقدمت في العمر بعض الشيء.

مطت "ليزا" شفتيها! قالت بلهجة عتاب:

- شكرا لأنك ذكرتني بذلك!

كانت "ليزا" قد فوجئت بذلك عندما كادت تفقد طفلها بعد سبعة أسابيع. كانت لا تشعر بأنها أكبر مما كانت عندما كانت تنتظر "تومي"، بالعكس إنها كانت تتمتع بحيوية لم تعرفها من قبل.

أضافت "مارنا" وهي تقطب حاجبيها:

- إن السيد "دوناهي" على حق. كان يفضل أن تبقي في الحجرة لكي تستريحي... علما بأن صعودك كل هذه السلالم يأتي بالعكس.

- لقد عملت على الصعود ببطء من باب الحيطة. ثم سقطت يدها بتلقائية واستقرت على بطنها. كانت تتألم- منذ فترة- عندما شعرت به وقد تغير شكله. ربما يكون ذلك أيضا أحد أسباب قلقها وحزنها عندما اضطر "كلانسي" إلى الرحيل إلى "ماراسيف" بدونها.

سوف تسنح له- هناك- أكثر من فرصة لمقابلة فتيات جميلات في نفس نحافتها عندما عرفها. لم يحدث أنه أشار - ولو بقليل- إلى زيادة وزنها لكن هذا لا يعني شيئا. "كلانسي" كان دائما لطيفا في معاملته لها،

حريصا على حسن التصرف معها..

بعد قليل انتصبت "ليزا" في مقعدها، وخرجت من أحلامها عندما سمعت صوت أزيز من بعيد امتلأ قلبها أملا. اضطرت إلى حجب عينيها بيدها لكي تتفحص السماء الزرقاء.

صاحت وقد اعتراها سرور بالغ، طارد أفكارها السوداوية:

- إنه "كلانسي"!

تبع نظر "مارنا" نظر "ليزا" فلمحت الطائرة الهليكوبتر التي بدت في الأفق، حينئذ اغتمت المدبرة وهزت رأسها:

- إنه ليس السيد "دوناهي".

- بل إنه هو لأني أعرف الهليكوبتر.

كانت "ليزا" قد نهضت منذ سماع الصوت. ابتعدت بخطوات سريعة نحو السلم. قالت دون أن تلتفت:

- سأنزل لانتظاره في الفناء.

- ليس....

صمتت "مارنا": كانت "ليزا" قد اختفت. رفعت رأسها ولاحظت الطائرة التي تقترب. بدا السرور على وجهها.

تمتمت وهي تتجه نحو السلم:

- "كيرا".

تسببت دوامة الهواء الصادرة من الطائرة في أن التصق الفستان الواسع الذي كانت ترتديه "ليزا" على جسمها قبل أن تصل الطائرة إلى الفناء. أزاحت شعرها إلى الخلف بحركة عصبية، تقدمت خطوة وابتسامة عريضة على شفتيها... توقفت إذ خاب ظنها. "مارنا" كانت على حق. لم تكن طائرة "كلانسي"... التفت نحوها رأس سيدة ذات شعر غزير كستنائي. قالت هذه الأخيرة بنبرة مرحة:

- تحياتي! أنا "كيرا ريبينوف".

هبطت قائدة الطائرة الشابة، خرجت من الطائرة ثم تقدمت نحو "ليزا" وهي تبتسم. قالت لها:

- لابد أن تكوني "ليزا". آسفة لحضوري بدون دعوة. غير أن

"كلانسي" أعلمني أنه لا أهمية لذلك. كنت أرغب في رؤية "مارنا" ...

ثم أضافت وهي تتفحصها :

– لاحظي أيضا أني كنت أرغب في معرفة موضوعك. كان فضولي يدفعني إلى ذلك. لقد احتفظ بك "كلانسي" لنفسه فترة طويلة جعلت صبرنا كلنا ينفد؛ لأننا نتمنى معرفتك .

– كلكم ؟

– نعم! "لانس" و"أنيس"، "اليكس" و"سابرينا" و.... هزت كتفيها. ثم أكملت :

– في النهاية... الجميع. أتعلمين أن كل الناس يحبون "كلانسي" وبالتالي نريد التأكد من أنه قد أحسن الاختيار بارتباطه بك...

ثم صمتت ومطت شفتيها. واستطردت :

– كان بها. أبدأ من الأول، أكرر : مع عدم خبرتي الدبلوماسية، ربما كانت لي أكثر من فرصة لكي أفصل في الحرب العالمية الثانية. كانت لي هذه القدرة.

عندما وصلت على مقربة خطوتين من "ليزا" مدت لها يدها ذات الأنامل الرفيعة :

– إذا كان "كلانسي" يحبك فهذا لأنك سيدة رهيبة. أطلب منك المعذرة.

"وكيف تتحامل على إنسانة بمثل هذه الرشاقة والأناقة؟!" هكذا تساءلت "ليزا"؛ لأن هذه الفتاة كانت تتمتع بجاذبية لا تقاوم. كانت "كيرا" لم تتخط بعد عامها الثاني والعشرين غير أنها كانت موهوبة– بالرغم من صغر سنها وحجمها الضئيل– بهيئة وقار واضحة. كما أنها كانت تبدو رائعة حتى في أبسط الأزياء: چينز وتي شيرت أبيض بسيط. كما أنه كانت لها مشية جنونية. كما أن شعرها المنسدل على كتفيها على هيئة خصلات كان يتوج ويزيد من قيمة وجهها الذي يعد أكثر من جميل: عينان زرقاوان ذواتا نظرات عميقة، وجنتان بارزتان، وشفتان ممتلئتان تكشفان عن حساسية قوية .

– إني سعيدة بمعرفتك أيتها الأميرة ...

أمسكت "ليزا" بيدها وشدت عليها بحرارة :

– وأنا لست واثقة من أن أكون مناسبة لـ"كلانسي" لكني لا أعرف سيدات جديرات بذلك. إذن سأعمل على قدر استطاعتي .

– ناديني "كيرا" من فضلك. لقد أخذت على عاتقي دور "أميرة ريبينوف" خلال ثلاثة شهور. ولقد تحملت الكثير ...

عجزت "ليزا" . عن حبس السؤال الذي طالما أزعجها :

– إنه الهليكوبتر الخاص بـ"كلانسي"، أليس كذلك؟ لماذا لم يحضر معك ؟

– لقد اضطر للبقاء في "ماراسيف" . إن الموقف متفجر هناك. وهذا بسبب الإرهابيين دائما، لكن لا تقلقي. لقد كلفني بأن أخبرك بأنه سيصل خلال فترة السهرة. أو على الأكثر عند الفجر.

اقشعرت "ليزا" . تمتمت :

– إرهابيين ؟!

أسرعت "كيرا" حينئذ في توضيح الأمر.

– إنه لا يتعرض لأي مخاطر. غاية ما في الأمر أنه علم أن فريقاً صغيراً من الإرهابيين قد عبر حدود "سعيد أبادا"، وها هو "كلانسي" يحاول اكتشاف أوكارهم بمعونة رجاله .

ابتسمت ابتسامة أضاءت وجهها المعبر :

– وفي انتظار عودته سنتمكن من التعارف إلى بعضنا بطريقة أوسع. إنك أمريكية. أليس كذلك؟ لقد كانت لي فرصة الإقامة في الولايات المتحدة، كان هذا أثناء فترة الدراسة، في "يال"، إني أعشق هذا البلد!

كان "ستيفان" يرغب في إرسالي إلى "فرنسا" أو إلى "إيطاليا" . لكني أقنعته بأني أفضل الشيوعية .

ثم ختمت وهي تضحك :

– فما كان منه إلا أن غير رأيه .

هزت "ليزا" كتفيها :

– هل تعجبين بالشيوعيين ؟

– بالتأكيد لا! ولست أدري إذا كنت قد خالطت بعضا منهم في

"باريس" أو في "روما" ،لكنها كانت الوسيلة الوحيدة التي وجدتها نافعة لدفعه إلى إرسالي إلى أمريكا. ثم أطلقت ضحكة ساكرة قبل أن تكمل حديثها :

– إن "ستيفان" لا يمكن أن يخاطر بضم إنسانة لها روح الشيوعية بالقرب منه؛ فقد تكون كفيلة بقلب نظام الملكية. لقد سمع الكثير عن "الثورة الروسية !

تمتمت "ليزا" :

– في الواقع، لابد أن شروعك في الدراسة في "أوربا" لم يعجبه .

هزت "كيرا" كتفيها :

– أوه! إن "ستيفان" لا يعجبه شيء مما أرغب في القيام به. إنه يعتقد أني أتيت إلى الدنيا فقط لكي أتسبب له في المتاعب وأقلب له خططه.

أتى صوت "مارنا" من خلف السيدتين قائلا :

– وهل كدرته هذه المرة أيضا ؟

دارت "كيرا" حول نفسها وهي تطلق صرخة مفاجأة اجتازت الفناء لكي ترتمي بين ذراعي الغجرية :

– أوه ! "مارنا"، كم افتقدتك !

ابتسمت "ليزا" لهذه المشاعر الحانية. لقد اختفت من الفتاة كل مظاهر الثقة والحكم الخاطئ على الأمور، وأصبحت مثل طفلة تحتمي في أحضان مرضعتها .

– لقد بذلت أقصى جهدي حتى أحسن التصرف بالقرب من "ستيفان" غير أنه لم يتوقف عن دعوة أولئك الرجال المفزعين إلى القصر. إنك تعلمين هذا النوع من الرجال ذوي الأيدي الضخمة والعقول الصغيرة.

– كان لا ينبغي أن تعودي إلى هناك، لقد سبق أن أعلمتك أن هذا لن يعود عليك بالنفع. لن تفيدي منه شيئا .

وكانت "مارنا" – وقتئذ– تلاطف شعر "كيرا" بحنان يدعو إلى الدهشة مما جعل "كيرا" تغلق عينيها .

سألتها "مارنا" :

– ما الذي حدث هذه المرة ؟

– لقد فقدت صبري. عملت– طوال ثلاثة أشهر– على قدر استطاعتي على عدم التسبب في أي ضيق لـ"ستيفان" ، وكان هذا هباء! كنا في زيارة الحظائر وكان "ستيفان" يرى الخيول الأخيرة التي كان قد اشتراها لتوّه وكان فخورا بها. وكان "دون استيبان" ....

– وهل "دون استيبان" من هذا النوع ذي الأيدي الندية ؟

– نعم. أسوأهم. لكنه ملياردير من أثرياء "إسبانيا" . إنه لا يكف عن مضايقتي. كنت غير قادرة على احتماله. إنه يقوم بتربية الثيران من أجل ساحات المصارعة، وأنت خير من يعلم كم أني أفزع لهذا المنظر! مساكين هذه الحيوانات التي يمسكون بها...

قالت "مارنا" بصوت مهدئ وهي تلاطف جبينها :

– أعلم. وما الذي حدث مع "دون استيبان" ؟

– بينما كنا نمر بالقرب من مقعد خال لمست يده أسفل ظهري؛ غلى الدم في عروقي، دفعت هذا النذل بعنف؛ سقط على المقعد .

– هذا كله ؟

– وكان هذا كافيا! لأن صبية الحظائر لم يكونوا قد قاموا بنظافة المكان وبالتالي عندما نهض "دون استيبان" كان قد اتسخ...

عندما تذكرت هذا المشهد انطلقت "كيرا" في الضحك. ثم وضعت رأسها على كتف "مارنا" قبل أن تختم بقولها :

– وقفزت في طائرة بأسرع ما يمكن لكي أعود إلى "ماراسيف" ، والآن سأترك الوقت الكافي لـ"ستيفان" حتى يهدأ قبل أن أعود بالقرب منه .

أردفت "مارنا" بصوت مقنع :

– وجب عدم التوجه إلى هناك ثانية. إنه غير مُجْدٍ. لماذا تتركين فرصة لهذا الأحمق أن يضايقك على هذا النحو ؟

– إنك تعلمين جيدا لماذا. أنا لا أستطيع... ثم صمتت فجأة. التفتت– بعد ذلك– نحو "ليزا" وقد بدا التأثر على وجهها :

– المعذرة. إني مندفعة في سرد أحداثي. لابد أنك لا تفهمين شيئاً مما أقول ولابد أن تسألي...

قاطعتها "ليزا" :

– هذا لا يهمني، وإذا كنتما تفضلان البقاء بمفردكما فإني مستعدة. لان أدعكما معا من الآن .

هزت "كيرا" رأسها :

– لا، إنك رفيقة "كلانسي"، لقد سبق له أن أتى لنجدتنا عندما احتجنا إلى معونته. الله يعلم أن هذا ليس سرا! الجميع يعلمون لماذا نحن في "سيدي خان" حاليا.

قالت "ليزا" مبتسمة :

– الجميع ماعدا أنا .

– ألم يخبرك "كلانسي" بشيء؟ إن أول ما ينبغي أن يحيطك علما به هو أن "ستيفان" شخص سخيف .

أردفت "ليزا" :

– سخيف ؟!

– بالتأكيد! إن "تامروفي" ليس بلدا مستحبا بالطبيعة. كما أنه يوحي بأفكار رديئة عن زواج المصلحة بهدف تعزيز موقف المملكة وإثرائها. عندما كنت في السادسة عشرة من عمري كان يسعى إلى تزويجي من كل الأمراء أو الملياردرات الذين يعرفهم؛ وكان هذا حتى يدعم سلطته، وبديهي أني لم أسمح له بأن يستخدمني على حسب أهوائه. اضطررت إلى المقاومة– بشدة– للدفاع عن نفسي، وحماية حريتي.

قالت "ليزا" مازحة :

– وهذا ما يدفع بأثرياء تجار الثيران على روث الخيل ؟

– غير أن هذا لم يردعه !

ثم انتصبت وألقت نظرة إلى "مارنا" قبل أن تستطرد :

– اضطررنا– "مارنا" وأنا– إلى الالتجاء إلى وسائل أخرى لنحطم بعض الادعاءات. أخيرا غضب "ستيفان" وأراد أن ينتقم، ولما لم يتمكن من أن يعاقبني تعرض لـ"مارنا" ...

سألت "ليزا" إذ ارتبكت لما شاهدت من غموض عند السيدتين :

– أي وسائل مثلا ؟

ألقت "كيرا" نظرة إلى "مارنا" التي هزت كتفيها قبل أن تنطق بالآتي :

– حدث مثلا أن أصيب فجأة أحد أصحاب السفن بالجرب. حينئذ كانت "كيرا" قد نصحته بأن يتركها وشأنها (أي الإصابة).

تنهدت غير أن "كيرا" كانت تبتسم :

– لم تكن الإصابة خطيرة. كنت متأكدة أنه سيشفى خلال يوم أو يومين .

قالت "كيرا" بنبرة مُرّة :

– لكن "ستيفان" وضع "مارنا" في السجن ظنا منه أن في وسعه استخدامها ضدي .

قالت "ليزا" :

– وكان منذ ذلك الحين أنك نجحت في تحريرها. وبمعاونة "كلانسي" اصطحبتها إلى "سيدي خان" .

ظنت أنها تحلم: إن قصة هاتين السيدتين تعتبر رواية حقيقية. إذن لا غرابة فيما عبر عنه "كلانسي" "بوضع الزيت على النار". عندما أشار إلى ارتباط "كيرا" بـ"مارنا" .

– بالضبط ....

هكذا جاء تأييد "كيرا" لكلامه ...

حينئذ تدخلت "مارنا" بصوتها الرزين :

– "كيرا". لا ينبغي أن تبقى "ليزا" واقفة في ملء الشمس للإستماع إلى أحاديثك.

أبعدت عنها ذراعي الفتاة وتراجعت خطوة :

– سأذهب لإعداد حجرتك. أما أنت فاصطحبيها لكي تتناول مشروبا ملطفا مع قرص كالسيوم .

ابتعدت "مارنا" بعد إصدار هذه الأوامر. و"كيرا" أخذت تتفحص "ليزا" بنظرات إشفاق :

– المعذرة... لكنك لست رقيقة ولا هزيلة إلى هذا الحد. إني كنت لا أشك في....

– لست هزيلة إلى هذا الحد .

قالت "ليزا" هذا وهي تتنهد ثم أكملت :

– إن "مارنا" تعاملني وكأني من الكريستال. لقد عانيت بعض المتاعب في الشهر الثاني للحمل.. ومنذ ذلك الحين وهي تجعلني أعيش وسط القطن.

حكت "كيرا" رأسها. وقفت تتأمل بمودة مدبرة القصر وهي تخرج بخطى واسعة. أردفت :

– إن هذا لا يدهشني؛ لأن "مارنا" تتمتع بقلب من ذهب. أنا متأكدة من أنها تحبك. إنها تعمل على حماية من تعزهم ،إنها تعتني بهم!

– وأنت أيضا. هذا ما يبدو لي.

أجابت في بساطة :

– أحبها.

اقتربت بعد ذلك من "ليزا" :

– إنها هي التي ربتني. لم يكن لوالدي ولا لـ"ستيفان" الوقت الكافي للعناية بي، وأما عن "لانس" فقد كان لا يحتمل بقاءه في "تامروفي". كان كثير الأسفار لا سيما في "سيدي خان"... "مارنا" كانت لي بمثابة أم. أم وصديقة... آه! إني أمقت أن تكون لها حياة العزلة في هذا المكان! إنها غجرية ! كما أن قيودا ضيقة جدا تربط أفراد قبيلتها. إنها تعاني ابتعادها عن ذويها، كنت قد تعشمت أنها سوف تعتاد الحياة في "سيدي خان" لكني أشعر بأنها تعيسة، شقية.

– وهل هذا هو سبب عودتك إلى "تامروفي" ؟

– ما الذي كنت أستطيع القيام به غير ذلك؟ إذ قلت لنفسي : إنه إذا ما تمكنت من احتمال حياة القصر– لفترة ما– فسأصل إلى تحسين علاقة "ستيفان" بـ"مارنا"، وأن يعفو عنها. غير أن كل شيء قد أفسد حاليا... ربما لو كنت أطلت البقاء...

– هل ستعودين إلى هناك ؟

– بالتأكيد. يجب أن أحاول مرة أخرى.

ثم أضافت وقد بدأ صوتها يتحسن كمن تخلصت من حمل :

– لكن ليس في الحال. حاليا إني أعتزم أن أحيا حرة وأن أمرح وأتسلى.

ثم ابتسمت :

– تعالي يا "ليزا". سأطلب لك مشروبا مرطبا وساعمل على التأكد من أنك تناولت الكالسيوم، وإلا ستعاقبني "مارنا" !

مرت الساعات التالية ممتعة بالنسبة لـ"ليزا". كان حديث "كيرا" شيقا، جذابا. شعرت "ليزا" – في نهاية السهرة– بأنها قريبة جدا من "كيرا" وكأنهما كانتا صديقتين منذ زمن بعيد.

كانتا تتناولان القهوة في المكتبة بعد عشاء عادي عندما بدا القلق على "ليزا" فجأة؛ كانت الساعة قد أعلنت العاشرة و"كلانسي" لم يعد...

سألتها "كيرا" في الحال :

– ماذا بك؟ ما الذي يزعجك ؟

– ليس بي شيء... إنما أفكر في "كلانسي"...

ثم قاومت حتى تتمكن من الابتسام وهي تكمل كلامها :

– مع أنك أعلنت لي أنه ربما يتأخر... إني أميل بالتأكيد إلى القلق...

– نعم. إنك تقلقين كثيرا من أجله، وهو أيضا. إنه يقلق من أجلك....

بدت حينئذ الغيرة على وجه "كيرا". ثم تمتمت :

– حسنا أن تكون المحبة متبادلة.

أردفت "ليزا" بصوت هادئ :

– حسنا جدا.

– إذن لماذا لا تتزوجينه ؟

نظرت "كيرا" إلى بطن "ليزا" وأردفت :

– إنك تنتظرين طفلا منه. أنا أعرف "كلانسي" جيدا. إنه مرتبط جدا باللياقة ومؤكد أنه يرغب في التصديق على هذا الموقف بأسرع ما يمكن.

اعتدلت "ليزا" في مقعدها وقد طعنت في الصميم :

– أتعتقدين هذا ؟

لم يكلمها "كلانسي" منذ وصولهما إلى "سيدي خان" عن الزواج.

قالت "كيرا" بثبات :

– إني واثقة ومتأكدة. ألم تناقشا هذا الأمر معا؟ إن "كلانسي" ليس هو الرجل الذي يقبل الحياة غير الشرعية. إني دهشة من أنه لم يجبرك على الزواج حتى الآن تحت تهديد السلاح!

"أبدا، لا، أبدا. إن "كلانسي" لن يقوم بمثل هذا العمل" . هكذا فكرت "ليزا" التي شعرت بموجة دافئة من الحنان تسري فيها. لقد كان "كلانسي" قد وعدها بالحرية، ولن يرجع في كلمته مهما كلفه الأمر، ومهما قاسى من جراء ذلك .

استطردت "كيرا" :

– إذا كنت أبالغ في إلحاحي فهذا لأني أفزع لرؤية "كلانسي" تعيسا. لكن بالتأكيد إن أمورك ما لا تهمني... تجاهلي ما تكلمت به معك. اعملي على نسيانه .

فكرت "ليزا" مرة أخرى في حديثهما بعد أن دخلت حجرتها للنوم. ربما ساهمة، غير أنها لم تطفئ نور السرير. كانت تشعر بأنها لن تحصل على النعاس بسهولة، هل غفلت إلى هذا الحد حتى إنها لم تلاحظ عدم اهتمام "كلانسي" وتحمسه؟ بصفة عامة إنها لم تكن أنانية، غير أن تصرفها قد تطور منذ أن حملت ...

فجأة فُتح الباب ببطء. انتفضت "ليزا" ثم انتصبت في السرير الكبير: "كلانسي" ! اطمأنت عندما رأته واقفا على العتبة .

بادرها بسؤاله :

– هل أنت على ما يرام؟ آسف على تأخيري لكن...

قاطعته متأثرة:

– إني في أحسن حال .

كان يبدو متعبا، كانت تبدو أخاديد عند زوايا شفتيه، كما أن بشرته كانت مشدودة على وجنتيه...

قالت :

– وأنت يا "كلانسي" ، كيف حالك؟ لقد كنت قلقة من أجلك .

– حقا ؟

اقترب منها ثم ضمها بين ذراعيه وتمتم :

– حسنا معرفة ذلك يا عزيزتي .

ثم قبلها بوداعة. انتصب :

– ربما ينبغي – بل يكون من الأفضل – أن أتغيب أكثر .

صاحت وهي تحيطه بذراعيها :

– أوه! لا !

أردف وهو يلاطفها :

– لقد اصطحبت "جالبريت" معي؛ لأني ربما أضطر إلى التغيب يوما أو يومين. إني حريص على تواجد أي شخص هنا حتى أطمئن على حمايتك.

تجمدت :

– حمايتي؟ لماذا أحتاج لمن يحميني ؟

– حيطة بسيطة. أنا لا أحب أن أتركك بمفردك. إنك ذات أهمية قصوى في عيني حتى إني لا أدعك تتعرضين لأي ضرر... كيف تتعاملين مع "كيرا" ؟

(جاء سؤاله الأخير هذا فجأة لكي يغير الموضوع).

– على أحسن وجه. لقد تآلفت معها، كما أني سعيدة لبقائها بضعة أيام مع "مارنا" وأنا. إنها ممتلئة حيوية!

أردف وكانت التجاعيد تبدو على جبينه :

– أوه ! نعم. لكن لا تدعيها تكسبك بحماسها. إنها تميل إلى الاعتقاد بأن جميع الناس لهم نفس الحيوية .

– لقد لاحظت ذلك. لكني أحبها كثيرا، هل تعلم أنا لا أحسدها على حيويتها ،غير أني أدفع الثمن غاليا ولا تكون لي هذه الطبيعة الجاحدة.

وضع "كلانسي" يده على بطنها بخفة. تمتم باهتمام بالغ :

– أيضايقك ذلك إلى هذا الحد ؟

– هل تعلم أن ما يضايق السيدة الحامل هو فقدها الرشاقة حتى مع علمها بأن هذا الشكل لن يدوم... أخبرني يا "كلانسي" ألا يضايقك أنت أيضا ؟

– أنا ؟

نظر إليها بدهشة :

– ولماذا تعتقدين أنك غير رشيقة ولطيفة. إنك اليوم أجمل مما رأيتك لأول مرة .

– هذا يعتبر مجرد مجاملة. إنه لطف من جانبك لكني أعلم أن...

قاطعها بقوله :

– أنا لست لطيفا. إن من عادتي أن أتكلم بما أشعر به. إنك تعلمين ذلك جيدا !

ثم أمسك بوجهها بين يديه الكبيرتين :

– إني أتاملك يوميا وألاحظ تغييرات فأزداد إعجابا. إن بشرتك تزداد نعومة، وشعرك أيضا يزداد لمعانا في الشمس. بالإجماع إن كل جسمك يزداد ازدهارا وانتعاشا. تماما مثل شجرة شابة مثمرة وقت الإزهار في الربيع. إنك رائعة؛ لأنك تحملين الحياة بداخلك. ألا ترين ذلك؟

تمتمت والدموع تملأ عينيها :

– لا. لكني سعيدة لأنك تلاحظ ذلك.

التفتت، أدارت رأسها وقبلت يده. في الواقع إنه هو الذي كان رائعا، وكان من حسن حظها أنها قابلته. ثم استطردت :

– هكذا ربما لا تشعر بالحرج عندما تقف أمام الراعي.

– ماذا ؟

وضحت بابتسامة مترددة بعض الشيء :

– أطالبك يا "كلانسي" بأن تجعل مني سيدة شريفة. على شرط أن ترغب في ذلك وهو مفهوم! لقد أعلمتني "كيرا" أنها ترى ذلك واضحا. غير أنها من الممكن أن تكون مخطئة في حكمها! في هذه الحالة ..

صاح :

– إذا رغبت ؟!

كانت لوجهه نفس الإشراقة التي لاحظتها يوم أن أخبرته بنبوءة "مارنا" عن الطفل، وكانت عيناه تلمعان من فرط السرور :

– حقا ؟

أجاب وهو يضمها إليه :

– أوه! نعم. أن أتزوجك هي أغلى رغبة عندي. لكن أعتقد أنها ليست "كيرا" التي أوعزت إليك بهذا أو ضغطت عليك به. أتعشم ذلك!

– لا، لقد ألمحت فقط أنك ستتمسك– بالتأكيد– بالاعتراف بأبوتك

للطفل. قبلته :

– أنا أيضا يا "كلانسي" أرغب في أن يكون طفلنا شرعيا معترفا به قانوناً وشرعاً .

قال بصوت أجش :

– غدا سنتوجه إلى "ماراسيف" لإعلان زواجنا هناك؛ لأني أخشى أن تغيري رأيك .

– لا، لا تخش شيئا، لكن لماذا لم تكلمني عن هذا الأمر قبل الآن؟

– كنت خائفا... لأنك بعد ماساتك مع "بالدوين" كنت– على ما يبدو– غير مرحبة بالزواج ثانية. وكم منحتني !

قالت في اندفاع :

– أوه! لا. إنه أنت الذي تعطي أكثر! وساعمل في المستقبل على تعديل هذه الحالة ،أما حاليا فعليك بالذهاب إلى السرير لكي تستريح؛ لأن الإرهاق باد عليك بصورة واضحة .

– فعلا إني متعب جدا .

قبلها مرة أخرى :

– لقد قضيت يومين كاملين جهنميين في الانتقال من طريق مسدود إلى آخر. كنا في كل مرة نترك رجالنا عند أحد مخابئ الإرهابيين نكتشف اختفاءهم. لابد أن لهم مخبرا أو جاسوسا في القصر نفسه. ساعود إلى هناك وأمسك بهذا الخائن .

ذهب إلى فراشه بعد أن بدل ملابسه. أردف :

– يبدو لي يا "ليزا" أن طفلنا تحرك. لقد لاحظت ذلك عندما لمست بطنك.

– نعم. لقد بدأ يتحرك من وقت إلى آخر .

– رائع! عليك– في المرة المقبلة عندما يحدث ذلك– أن ....

اختفى صوته، فظنت أنه نام. غير أنه أضاف :

– شيء رائع !

عزيزي "كلانسي" الغالي. هكذا فكرت والدموع تسيل على وجنتيها. كانت تحبه إلى درجة أنها كانت تخشى من أن تنفجر من فرط السعادة

لتواجده بالقرب منها. السعادة التي ستبلغ قمتها غدا بعد زواجهما.

تنهدت تنهيدة رضا وجفّت دموعها. أغلقت عينيها. كان ينبغي أن تنام. إنها ستتزوج غدا؛ غير أنها ظلت ممددة لفترة ليست بالقليلة قبل أن تجد النعاس؛ إذ كانت تفكر في "كلانسي"، وفي طفلهما الذي سيولد ذات يوم، وفي حياتهما الجديدة... وفي هذه الكلمات الأخيرة التي نطق بها قبل أن ينام :

"هذا رائع" !

الفصل الثاني عشر

وقفت "ليزا" تتأمل نفسها في مرآتها المتحركة وقد بدا عليها الريب. أردفت :

– سوف يقوم ذلك بالمهمة.

كان الفستان الواسع الحريري الأصفر متمشيا مع الموضة، أنيقا، غير أنه– وإن كان متسعا– كان لا يخفي إلى حد كبير مظاهر جمالها ومع ذلك فقد كان يمنح قوامها الممتلئ – بعض الشيء – مميزات كثيرة.

التفتت نحوه وقالت :

– إني مستعدة. يا "كلانسي". إنه – بالنسبة لسيدة متزوجة– لا يعد هنداما رسميا. أليس كذلك؟!

– كم أنك جميلة! إنك أكثر أناقة مني !

قالت معترضة :

– لا.

كان "كلانسي" رائعاً في بذلته الرمادية وقد كانت من بيوت أزياء بريطانية. كان هذا اللون متلائماً مع بشرته البرنزية ومضيفا جمالا أكثر إلى عينيه الزرقاوين.

– إني لم أرك في بذلة كاملة منذ ليلة وصولنا. كنت وقتئذ تضع بذلة سموكينج.

كرر "كلانسي" وهو يضمها إليه :

– كم أنك جميلة! إنك جميلة دائما لكنك اليوم مشرقة أكثر.

أردفت وهي تقبله :

– لأني سعيدة. إن فكرة زواجنا تسعدني. هل تعتقد حقا أننا لن نلاقي مشاكل في "ماراسيف" بقرارنا السريع هذا ؟

– سيقوم "اليكس" بتنظيم كل ما نحتاج إليه وأنت تعلمين ذلك. سأتصل به فور وصولنا. تعالي هنا وليبدأ الحفل !

ابتسمت :

– وجب أن أخطر "كيرا". أتعتقد أنه من الممكن أن تقوم لي بدور الشاهد؟ لأني لا أعرف أحدا في "سيدي خان" حتى الآن. و...

سُمع طرق على الباب. نهض "كلانسي" لكي يفتح؛ صاحت حينئذ "كيرا" بمرح ومسرة :

– إنكما على أتم استعداد! كنت لا أريد إزعاجكما لكن الساعة الآن التاسعة والربع، وأمامكما الكثير للإعداد...

قال لها "كلانسي" :

– صباح الخير يا "كيرا". ترى أي ريح دفع بك إلى هنا ؟

منحته ابتسامة حارة. استطردت :

– هل السيد "دوناهي" والسيدة "لاندون" يتكرمان بالنزول حتى نتمكن من الرحيل إلى "ماراسيف" في أفضل الأوقات؟ أو بأسلوب آخر: ألا تسرعان في تناول الفطور في الطابق السفلي حتى لا نتأخر على موعد حفل الزواج الفاخر الذي أعددته لكما ؟

– الزواج؟! لكن كيف ...

صمتت "ليزا" وهزت رأسها قبل أن تعود إلى الكلام، وكانت تتبادل النظرات مع "كلانسي" :

– آه! لقد استنتجت أنها "مارنا" ؟

أجابت "كيرا" :

– نعم. لقد أيقظتني في السادسة صباحا لكي تخبرني بأنه اليوم. كان ينبغي أن أعلم قبل الآن؛ لأني لا أصنع المعجزات! إني لم أكف– منذ السابعة صباحا– عن الاتصالات الهاتفية لدعوة أصدقائنا في "ماراسيف" :

اتصلت بـ"زالاندران"، أخطرت "فيليب" و"باندورا" و... أخيرا الجميع. سيكون الاحتفال في القصر وقت الظهر، وسوف يليه الاستقبال مباشرة.

أردفت "ليزا" بنبرات ضعيفة؛ إذ كانت مأخوذة من دوامة العالم الذي كانت تفكر فيه :

– لكننا نهدف إلى شيء بسيط جدا. إني حقا لا أعرف إذا....

طمأنتها "كيرا" :

– سيكون حفلا بسيطا جدا بين الأصدقاء. لكن المقصود هو أن نحتفل بسعادتكما بطريقة لائقة.

ألقت إليها– بعد ذلك – ابتسامة رقيقة عملت على تبديد مخاوف "ليزا". قالت :

– حسنا جدا.

استطردت "كيرا" :

– شيء رائع! والآن أنصحكما بالنزول في الحال لتناول الفطور. أمامكما عشرون دقيقة فقط ليس أكثر. كما أني أقترح عليك يا "كلانسي" أن تصطحب "ليزا" في الهليكوبتر الخاص بك الذي كنت قد استعرته منك بالأمس، وستنتظرك سيارة رسمية بسائقها في المطار أما أنا فسأتبعكما في الهليكوبتر الذي كنت قد استخدمته في العودة مع "جالبريت" و"مارنا"، اتفقنا ؟

قال "كلانسي" مسرورا :

– اتفقنا.

حينئذ تدخلت "ليزا" :

– أخبريني : عندي سؤال أوجهه إليك.

– أي سؤال؟ هل غفلت عن شيء ؟

ونظرت إليها "كيرا" بشيء من القلق.

– لا. غاية ما هناك كنت أريد معرفة لماذا لا تشعرين بأنك قادرة على إدارة عمل دبلوماسي. إن لك كل الإمكانيات والمدارك اللازمة للتنظيمات والاتصالات التي لا مثيل لها.

هزت "كيرا" رأسها وهي تضحك :

– آه. لا، ليس في كل الظروف. فقط فيما يعجبني، إني أميل إلى السعادة، وكم أني سعيدة من أجلكما! لكن أسرعا الآن. وجب أيضا أن أرتدي ملابسي اللائقة بالحفل... أيضا عليّ بالتوصية على الورد....

كانت "كيرا" قد ابتعدت في الدهليز وهي تتكلم. قالت قبل أن تختفي في السلم الحجري :

– سنرى بعضنا في "ماراسيف".

تمتمت "ليزا" بابتسامة مشرقة :

– إنها حقيقة : "كيرا" تميل إلى السعادة !

قال "كلانسي" وهو يمسك بيدها :

– كلنا لنا هذا الميل. الآن هيا نتناول الفطور بدون تأخير إذا كنا نريد احترام المواعيد التي حددتها "كيرا".

*****

بعد عشرين دقيقة بالتحديد كان "كلانسي" وبصحبته "ليزا" متجهين إلى الهليكوبتر ذي اللونين الأبيض والأزرق الخاص بـ"كلانسي"، وعلى بعد ثمانية أمتار جهاز آخر أصفر كناري سيقل "كيرا" فيما بعد إلى "ماراسيف".

أسرعت "مارنا" نحوهما وقالت :

– عندي لكما شيء يا سيد "دوناهي".

سألها مسرورا :

– هل هذه تميمة ؟

– نعم ذات معنى ! إنها قطعة مالية "تامروقية" قُطعَت إلى نصفين.

ناولت كلا منهما جزءا: واحدا إلى "ليزا" والآخر إلى "كلانسي".

– لقد عزمت عليها بقوة. إذا حملها كل منكما أثناء الاحتفال بزواجكما فلن يفرقكما شيء أبدا.

قال "كلانسي" وهو يبتسم إلى "ليزا" :

– شكرا يا "مارنا".

ثم التفت لكي يفتح باب الطائرة.

مالت "ليزا" إلى الأمام؛ لكي تقبل "مارنا" على وجنتها ووعدتها بحرارة :

– سأحملها معي دوما .

رفعها "كلانسي" بين ذراعيه ووضعها في الهليكوبتر وبعد لحظة أقلعا بهدوء .

وقفت "مارنا" تتطلع إلى الطائرة وهي ترتفع متجهة نحو "ماراسيف" . ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة، وعندما كان الجهاز يبتعد في سماء مشرقة رأت– فجأة– الطائرة تعكس شرارات تخطف البصر. وعلى عدة دفعات .

تعتم وجهها، واتسعت حدقتا عينيها. إن الهليكوبتر يبدو مهددا في السماء الزرقاء ! عساه يهبط بدون صعوبة في "ماراسيف" ! المطار! آه إنه هناك. إن هذا سوف يتم!!!

عادت "مارنا" جريا إلى القصر لكي تخطر "كيرا" بالخطر المحدق الذي كان يهدد الثنائي .

*****

تمت الرحلة على أكمل وجه. فتح "كلانسي" الباب من جانب "ليزا" وساعدها على القفز إلى الأرض. اقشعرت وسدت أذنيها عندما هبط "بوينج ٧٤٧" على المهبط الذي كان على الطرف الآخر من أرض المطار .

– أنت :

– يا لها من ضجة! كان جنونا أني اعتدت هدوء الصحراء! هانا قد عدت إلى ملء القرن العشرين بعد حياتي الممتعة في القصر.

– ليوم واحد يا عزيزتي. عند غروب الشمس سأصطحبك إلى هناك يا سيدة "دوناهي" ... هذا إذا تمكنت من انتزاعك من مودة أصدقائنا.

بدت متضايقة :

– هل أنت واثق بانهم متمسكون بمعرفتي؟ إنك أنت الذي تهمهم كما أخبرتني "كيرا" .

– إني مقتنع بانك ستنالين إعجابهم بصورة قوية. إن "كيرا" على حق.

ستجدينهم في غاية اللطف، صدقيني .

– آه! حقا إني أثق بك.

أشرق وجهها من السرور. تابط "كلانسي" ذراعها واقتادها إلى المهبط .

– والآن. سأصطحبك إلى القصر في الليموزين الذي أمه هناك بالقرب من الهناجر .

أشار بيده إلى سيارة "كاديلاك" رمادية مزدانة بشارة "سيدي خان" : السيف والوردة على باب السائق .

قالت "ليزا" :

– إن "كيرا" سوف تُسَر عندما تعلم بأن كل شيء يتم وفقا لتعليماتها. إنها– بالاشتراك مع "مارنا"– قادرة على نقل الجبال .

انطلق "كلانسي" في الضحك :

– لا تفكري في قول هذا الكلام لـ"مارنا" ؛ إذ من الممكن أن تفكر في استخدام قدراتها السحرية! ولن يكون بعد ذلك إلا العمل على تصحيح الموقع الجغرافي لـ"سيدي خان" على كل الخرائط! دون وضع في الاعتبار أن...

سكت فجأة. تجمد جسده وكان رصاصة قد أصابته .

قال بنبرة فزع :

– "بالدوين" !

تابعت "ليزا" نظره تجاه الرجل الذي بدا فجأة: كان يرتدي زيا أزرق غامقا خاصا بسائق مع شارة "سيدي خان" على الجيب الأيسر. لكن بلا شك إنه "مارتن بالدوين" .

قال من على بعد :

– ولا حركة يا "دوناهي" . لا أنصحك بذلك.

رفع "مارتن" يده اليسرى وبها مسدس. تفحص "ليزا" في غير مودة :

– تعالي هنا يا "ليزا" تقدمي بهدوء نحوي. كأن شيئا لم يحدث .

تقدم "كلانسي" خطوة إلى الأمام لكي يتبعها وقال :

– لا !

حينئذ صوب السلاح إلى صدره .

قال "مارتن" بصوت ناعم ملأ "ليزا" بالرعب :

– أنا لا أمزح يا "دوناهي" . إني منتظر هذه اللحظة منذ زمن بعيد! لن أتردد في منحك رصاصة في الجلد .

صاحت "ليزا" وهي تندفع إلى الأمام :

– أرجوك يا "كلانسي" لا تتحرك. لا تلحق به ضررا يا "مارتن" . إنه رجل له شأنه في "سيدي خان" ؛ لأنه سوف يقبض عليك إذا حدث– من سوء الحظ– أنك...

لم تجرؤ على القول : "إذا جرحته." وأقل من ذلك! "إذا قتلته" . لا ! لا ينبغي أن يلحق بـ"كلانسي" شيء مرعب .

استطردت في غير خوف ولا توقع للشر :

– إنه أنا الذي أريدك .

قال "كلانسي" بنبرة قوية :

– "ليزا"، عودي إلى هنا !

قالت "ليزا" وهي تتوسط الرجلين؛ لكي تمنع زوجها السابق من التصويب إلى "كلانسي" :

– هيا بنا ننصرف يا "مارتن" بسرعة قبل أن يكتشفوا وجودك هنا ويمسكوا بك .

قهقه "مارتن" ثم قال :

– إن اهتمامك الزائد بي يؤثر عليّ . ربما كنت أفكر في تصديقك إن لم أكن قد تذكرت الطريقة التي استخدمتها في "باراديز كاي" لكي يمسك بي عشيقك .

– لكن ...

– لم يكن لـ"ليزا" أي دور في ذلك يا "بالدوين" . إنه أنا الذي كنت قد نصبت لك هذا الفخ . متخذا على عاتقي كل المسؤولية .

وقف "مارتن" يتفحص جسم "ليزا" عندما وقع بصره على بطنها وقد كان بروزه واضحا تحت الفستان الواسع .

– وأعتقد أنك تحملت أيضا مسؤولية الصبي الذي تحمله. لقد راقبتكما عن قرب منذ وصولكما إلى "سيدي خان" .

بادرته "ليزا" بقولها :

– اسمعني يا "مارتن" .

غير أن "مارتن" كان لا يستمع إليها بل كان يثبت نظراته على "كلانسي" بسرور مسموم :

– لقد استسلمت لهذه السيدة يا "دوناهي" . لقد استخدمتك "ليزا" يا عزيزي. إنه ليس أنت الذي تريدك . إنه طفل. إنها لا تحبك. إن كل اهتمامها منصب على الأطفال. إنها من هذا النوع الذي لا يحب إلا الصغار .

صر "كلانسي" أسنانه . بدت التجاعيد على جبينه وزوايا شفتيه... أما "ليزا" فكانت تتطلع إليه قلقة.

أجاب :

– أعلم ذلك. لقد وافقت عليه ولا أهمية له .

قرأت "ليزا" – وكانت مرتعبة– آلام "كلانسي" على ملامحه. تألمت في داخلها. آه لو كانت أعلنت له حبها مساء أمس أو صباح اليوم!

– "كلانسي" : إني ...

قطع "مارتن" حديثها الداخلي :

– اصعدي إلى السيارة يا "ليزا" وأمسكي بعجلة القيادة، وأنا سأجلس بجوارك مع هذا الصغير الذي في بطنك، وحبيبك سيجلس في المقعد الخلفي بمفرده . بهذا ستكون أمامه الفرصة الكافية للتفكير فيما أستطيع إلحاقه بك من أمور سيئة بدءا من عبورنا الحدود .

قالت بنبرة توسل :

– أرجوك. اتركه هنا لأن هذا سيكون في صالحك .

تدخل "كلانسي" :

– لا! إنه إذا اصطحبك وتركني هنا فسأدخل إلى "سعيد أبادا" برجالنا لنرحل معا يا "بالدوين" .

– لم تكن لي نية تركك هنا يا "دوناهي" .

ثم بلهجة آمرة قال وهو يهددها بسلاحه :

– بسرعة يا "ليزا" .

لكن .... فجأة أخذت طائرة هليكوبتر تحلق فوق الهناجر. كانت قريبة من الأرض، وتعمل على إثارة دوامة من الغبار الذي كان يأتي عليهم. ثم تسببت في انتزاع القبعة الموضوعة على رأس "مارتن" وجعلتها تطير في الهواء.

لمحت "ليزا" رأسا مكللا بشعر كستنائي أمام قيادة الطائرة! إنها "كيرا"! بدا الهليكوبتر وهو يعمل على التعمق أكثر إلى أسفل مسلطا على "مارتن" الذي مكث جامدا في مكانه.

صاح وهو ينظر إلى الجهاز :

– إن هذا الطيار مجنون. إنه يعمل على الهبوط علينا!

قال "كلانسي" :

– نامي على بطنك يا "ليزا" بدون صوت. ثم ضرب "بالدوين" بسرعة البرق، أمسك بالمسدس بقوة وألقى به على الأرض. أطلق "مارتن" صرخة ألم عندما حلقت الطائرة الهليكوبتر فوق رؤوسهم على ارتفاع متر واحد ليس أكثر.. ثم– بدون تردد– سدد "كلانسي" لكمة إلى خصمه بالقرب من حلقه جعلته يقع بالقرب من "ليزا" التي تراجعت بسرعة. التفت "كلانسي" نحوها.

سألها قلقاً :

– كيف حالك؟ بم تشعرين ؟ لقد قلت لك أن تنبطحي على الأرض.

تمتمت :

– إن كل شيء مر بسرعة فائقة.

وقفت تتأمل جسد "مارتن" وكان بلا حراك. يا له من كابوس قد عانته في هذه اللحظات!

– ماذا ستفعل به الآن؟ كيف ستتصرف يا "كلانسي".

– كنت قد قررت– منذ فترة بعيدة– يا "ليزا" أن أرسله فور إمساكنا به إلى الولايات المتحدة. هناك يقضون في أمره حسب أحكامهم.

تنهدت "ليزا" إذ اطمأنت. ثم أضاف "كلانسي" مبتسماً :

– أمر طبيعي. سنعمل بهذا على تسهيل الأمور؛ لأن النظام الأمريكي– بحسب وجهة نظري– متساهل بعض الشيء. كما أني سوف أرسل فريقا

من رجالنا لكي يتحقق من أعمال هذا الرجل وطريقة إدانته. لكن أولا وقبل كل شيء: وجب أن أستجوب هذا الرجل... وهذا لاكتشاف من هو شريكه في الجريمة في القصر، وأيضا لمعرفة المكان الذي يختبئ فيه الرجال الآخرون الذين عبروا حدود "سيدي خان".

قالت "كيرا" وهي تنزل من الهليكوبتر بصوتها الرنان :

– كل شيء تمام ؟

أسرعت نحوهما و"جالبريت" في عقبيها :

– لقد فزعت عندما رأيت هذا الشخص يهددك بسلاحه في الوقت الذي كنت سأهبط فيه بالضبط. ارتبكت، أخذتني الحيرة فيما سوف ينبغي أن أعمل، كيف أتصرف ؟

قال لها "كلانسي" بلهجة جادة !

– لقد تصرفت بطريقة رائعة. كنت خائفا؛ لأني كنت غير واثق بأنك ستستطيعين مواجهة الموقف، ولم أكن مهتما أبدا بأنه سوف يقطع رأسي..

أردف "جالبريت" :

– ولا أنا ، لم أكن واثقا بأن العملية ستنجح. و"كيرا" رفضت تسليمي الأوامر.

قالت وهي تغمز بعينها إلى "ليزا" :

– لم أكن محتاجة إلى عون؛ لأني عندما كنت في "بال" شاهدت كثيرا من المسلسلات في التليفزيون. كان الأبطال فيها من الطيارين، وكانوا لايكفون عن القيام بأعمال الأكروبات من هذا النوع.

قال "جالبريت" :

– لكني كنت قد أعلمتك أن الأمر يتطلب أناسا مدربين. كان لاينبغي أن ..

قاطعته "كيرا" قائلة :

– آه ! ألا تجدون أني أحسنت عندما عملت على اصطحابكما معي ! إن رجلا محدود التفكير إلى حد يجعله لايصدق "مارنا" – عندما رأت "كلانسي" و"ليزا" في خطر وهي عند المطار– لايستحق أن نستمع إليه.

سالها "كلانسي" :

– "مارنا" مرة أخرى؟

– نعم ، لقد شعرت "مارنا" بتهديد كبير يلحق بكما في لحظة رحيلكما . كانت لاترى بالضبط ما هو .. غاية ما في الأمر لقد علمت أن هذا سيحدث في المطار، و"جالبريت" كان يلح على الحصول على التفاصيل .

– من عادتي السيئة أني أتمسك بالتفاصيل والإثباتات .. أنا لا أندفع أبدا في مغامرة بغيرهدى.

كان يتكلم بلهجة لاذعة .. مما جعل "كيرا" تنظر إليه وقد بدا عليها الضيق :

– لو كنت اتصلت يا "جالبريت" برجال" كلانسي" لكي يعملوا على حمايته هنا عند وصوله بدلا من أن تاتي بنفسك لما كنت وجدت نفسي في احتياج إلى القيام بعمل أبطال المسلسلات الأمريكية!

– وهذا بناء على تنبؤ غجرية؟ اسمعي : إني رجل مهني ! و...

رفع "كلانسي" يده :

– هل في إمكانك يا "جون" أن تكف عن هذا النقـــاش المهني وعن أساليبكما في العمل ، وأن تصطحب "بالدوين" إلى مقرنا العام؟ لدينا بعض الأسئلة وجب أن نوجهها إليه باسرع ما يمكن. ثم التفت نحو "كيرا" :

– آسف إذ أفسدنا برنامجك ، لكن الضرورة دفعتنا إلى تأجيل الزواج إلى الغد . عليّ أولا أن ألقي الضوء على هذه المهمة.

– أفهم تماما يا "كلانسي" ، وهذا سوف يمنحني الفرصة للقيام بعمل الأشياء على أحسن وجه . لاتقلق بشأن "ليزا" . سأصطحبها إلى القصر وسأعمل على إقامتها في جناحك الخاص... كما أن لي رغبة في الاتصال ببيوت الأزياء الكبرى حتى ترسل لها بعض الموديلات الحديثة لكي تشاهدها "ليزا" وتختار ما يعجبها منها ...

أتذكر أن "أمي إيفرينج" كانت – أثناء فترة الحمل – ترتدي فستانا رائعا على طراز فترة النهضة الإيطالية؟ بذلك ستبدو "ليزا" في منظر رائع غدا وسأعجب بها .

هز "كلانسي" رأسه وهو يبتسم بسماجة، ثم وضع يده على كتف

"ليزا" :

– أشعر بأنك لن تتضايقي بدوني . لكنني سألحق بك فور انتهائي من أمر "بالدوين" . لابد أن أعلم من هو الجاسوس في القصر الذي يعمل لحساب الإرهابيين ويمدهم بالمعلومات اللازمة. وإلا سيكون "أليكس" و"سابرينا" في خطر ! هل تفهمين ذلك يا "ليزا" ؟

أجابته مبتسمة :

– بالتأكيد .

اقتربت منهم بعد ذلك سيارة لونها أزرق غامق. توقفت ، فتحت أبوابها لكي يخرج منها عدد كبير من الرجال. لحق "جالبريت" بهم وأملى عليهم أوامره.

أضافت "ليزا" :

– أعتقد أنه وجب أن أنصرف أنا و"كيرا" ؛ لكي نفسح لكما المجال .

انحنى "كلانسي" للتحية، ثم مال على "ليزا"، وقبلها على جبينها:

– إذا حدث ما يدعو إلى احتياجك لي ياعزيزتي فأخطري "أليكس" . سيعرف أين يجدني.

ألقت نظرة إلى "مارتن" الذي كان قد بدأ يفيق . انتصب ببطء وجلس على المهبط وقد بدا مندهشا . كيف يحدث أن يصبح هذا الرجل– الذي طالما شاركته كثيرا من الأمور ولفترة ليست بالقليلة– غريبا عنها ؟

لكن من يدري ،ربما كانا طوال هذه الفترة غريبين الواحد للآخر؟ إن ارتباطهما كان سطحيا خاليا من العمق.

– "ليزا" ؟

وقف "كلانسي" يتأمل وجهها... انقبض قلبها عند رؤية شعاع الألم باديا في عينيه . فتذكرت ما كانت "مارنا" قد أوعزت إليه من أخبار محزنة . أرادت أن تبرر نفسها .

تمتمت :

– كان بها . أوه ! إنك لاتفهم . ليست حقيقة أن ....

ثم صمتت . كانت عاجزة عن التفاهم هنا وسط هذا الصخب وهذه الجلبة .

– إلى لقاء قريب في القصر يا "كلانسي" .

الفصل الثالث عشر

سألت "كيرا" بنبرة قلقة:

– إننا لم نتعبك . أليس كذلك؟ لقد أخطرت الجميع .

أجابت "ليزا" :

– لا .. أشعر بأنني على ما يرام . لقد أعجبت بتقديمي إلى الناس قبل الزواج ، وساشعر غدا بالارتياح تماما .

– لقد أخبرتك أن الأمور ستسير إلى أحسن .

نظرت "كيرا" إلى ساعتها الـ"رولز" :

– لقد أوشكت الساعة أن تعلن الحادية عشرة، والآن أتركك لكي تستريحي وإلا "كلانسي" سوف يتحامل عليّ ! وأنا أيضا أعتقد أنه يجب أن أنام ؛ لأني سأستيقظ منذ الفجر لكي أعود إلى القصر لمقابلة "مارنا" . لقد كان رحيلنا على عجل ولم نتمكن من ضم مسافرين إلينا .

قالت "ليزا" وهي تقشعر :

– حمدا لله ! وجب أيضا أن أشكرك على تدخلك !

اتسعت حينئذ عينا "كيرا" من الدهشة :

– لماذا؟ لقد قضيت فترة صباح مثيرة جدا. لم أر مثلها منذ أيام وأيام !

التفتت نحو الباب :

– طاب مساؤك . سأكون هنا صباح غد .حوالي الساعة العاشرة ؛ لكي أساعدك على ارتداء ملابسك . ستكونين رائعة في فستانك "البروكار" الوردي . آه! إني أرى من هنا رأس "كلانسي" !

قهقهت وهي تفتح الباب ثم توقفت على عتبة الباب :

– لقد اتصل بك "كلانسي" منذ ساعة . أليس كذلك ؟ هل أعلمك بسير الأمور ؟

– إن "مارتن" أعلن له كل ما كان يرغب معرفته .. فما كان من "كلانسي" إلا أن أرسل رجاله للإمساك بالإرهابيين الذين يختبئون في "سيدي خان" ، وبمخبر القصر الذي يمدهم بالأسرار أولا وسيعود إلى هنا عندما يتمكن من ذلك .

– ألا ترغبين في أن أبقى حتى وصوله ؟ إنك غير معتادة البقاء بمفردك في القصر...

– لا، شكرا يا "كيرا" . اذهبي لكي تنامي . إني أشعر بالارتياح هنا ... أعتقد أني سأتنزه قليلا في الحديقة . لا أستطيع البقاء في السرير؛ لأني أشعر بأني عصبية بعض الشيء .

– أرى ذلك وهو المنتظر بعد هذا اليوم الحافل بالمؤثرات ! إذا غيرت رأيك فاتصلي برقم "٧" على التليفون الداخلي – إنه رقم حجرتي – وساعود إليك فورا ... وإلا .. إلى الغد .

أُغْلِقَ الباب من جديد عليها .

تقدمت "ليزا" بخطوات بطيئة إلى الشرفة الرخامية التي تطل على الحديقة.

كان "كلانسي" أثناء اتصاله يبدو مشغول البال. ربما يكون من الأفضل أن تنتظر إلى الغد لكي تكلمه.

لا ! كانت قد انتظرت طويلا . منذ متى "كلانسي" كان فريسة لهذا الألم الذي قرأته في عينيه اليوم في المطار؟ كثيرا ما كانت هناك خلافات بينهما .

كان "كلانسي" قد منحها الكثير وكان ذلك بدون أي مقابل من جهتها، ولقد حان الوقت لمسح كل هذه التناقضات وعدم الثقة الماضية واتخاذ نظام جديد ، والقيام ببداية طيبة .

خرجت إلى الشرفة عندما لاطفت النسمة الدافئة وجهها ووجدت نفسها محاطة بجو معطر. ومن حولها الأصوات الشجية: أصوات تغريد الطيور. وقع بصرها على شجرة ورد مزهرة ووقفت تتأملها فسمعت تغريد البلبل الواقف عليها ، أو ربما كان واقفا على شجيرة الياسمين أو أبعد قليلا. تعمقت في الحديقة . ماذا كانت تستطيع القيام به أفضل من أن تبحث عن بلبل في انتظار "كلانسي" ؟

وكانت حديقة "كلانسي" الخاصة ذات جمال أخاذ في ضوء القمر . كانت الزهور واضحة ذات عطر رقيق . كان الورد – وزهور الكاميليا، والجارونيا – مغروسة على جانبي الممرات المؤدية إلى النافورة الجميلة القائمة

وسط الحديقة، وكانت هناك أيضا مقاعد رخامية موضوعة على شكل دائرة حول النافورة ، كما كانت المصابيح ذات الألوان المتعددة تزيد من سحر المكان. بالإجماع : يظن المرء أنه في ألف ليلة وليلة!

– "ليزا" .

كان صوت "كلانسي" .

– أنا هنا بالقرب من النافورة.

خفق قلبها عندما شعرت بوقع أقدامه على البلاط بخطى سريعة. وما هي إلا لحظات إلا وكان إلى جانبها .

–لقد انزعجت عندما اكتشفت غيابك عن الشقة عند وصولي ...

– يالجمال الحديقة! أتتني فكرة انتظارك بالقرب من النافورة . إن هذا الإطار يذكرني بفيلتك في "باراديز كاي" ولكن بصورة أجمل. إنها رائعة حقا!

– إن الذي وضع لي تصميم هذا المكان هو "ديفيد برادفورد" . كان قد سألني عن ميولي، وكنت قد أخبرته بأني في احتياج إلى مناخ مهدئ ، إلى إطار جميل وندي.

جلس على إطار النافورة في مواجهة المقعد الذي كانت تشغله "ليزا" . كان قد خلع سترته ورباط عنقه ، وفتح الأزرار الأولى من قميصه .

ثم صارحها بالآتي :

– لكني لا أجد هذا الهدوء وهذا الجمال في عملي . عندما قابلتك للمرة الأولى وجدت فيك زهرة الكاميليا. وتساءلت وقتئذ عما سوف تشبهين هنا في حديقتي.

– إن زهرة الكاميليا رقيقة جدا يا "كلانسي" ، وأنا لم أعد كذلك لقد جعلتني قوية.

تمتم وهو يتأملها :

– مع ذلك لايبدو عليك – في هذه اللحظة – أنك سيدة قوية. إنك في ردائك الأبيض تشبهين "جولييت" في "شكسبير" .

ابتسم :

– أرى أن "كيرا" أقنعتك . إذن . تحيا موضة النهضة!

– لا تتسرع في الكلام؛ لأنك بذلك تعرض نفسك للملل من نمط

هندامي الجديد . دون أن أنتبه وجدت نفسي طوع نصائح "كيرا" واضطررت إلى شراء كل ما كانت تشير عليّ به. كانت تقول لي :

"إن هذه الفساتين تهبني طابعا شاعريا" ، ومن جانبي كنت أصدقها .

توقفت لحظة وثبتت النظر على "كلانسي" وكانت عيناها ذواتي لمعان رائع

ثم استطردت :

– أشعر بأني شاعرية وأفيض رومانسية.

– أخبريني : أليست لديك رغبة في الإفصاح لي بأسرارك؟

تنفست بعمق :

– أريد أن أقول لك : إني أحبك!

أظهر بعد ذلك ابتسامة رقيقة ممزوجة بالحزن :

– أعلم ذلك يا "ليزا" . أعلم أنك تشعرين بشيء نحوي وإلا ما كنت قبلت الزواج مني .

لقد رأيت كيف أن كلمات "بالدوين" أربكتك. لكن لماذا ؟ إن ما أجبته به حقيقة . لقد قبلت الحال بأنك لاتستطيعين أن تحبيني بالقدر الذي أحبك به ، ولا أهمية لذلك .

صاحت وقد امتلأت عيناها بالدموع ثم نهضت من على المقعد :

– لا . لا . ليست حقيقة!

أعلم أن هذا مهم ، وأعلم جيدا جدا ما كنت قد أشعر به في حالة اعتقادي بأنك لاتحبني . آه ! مازلت جالساً يا "كلانسي" ! وتنظر إليّ كأني فتاة صغيرة متخلفة غير مسؤولة عن تصرفاتها! تمتم دهشا:

– "ليزا" !

نهض :

– "ليزا" : أنا لم أقصد بقولي هذا ...

– أعلم تماما ما كنت تريد قوله . إنك لم تكف عن حمايتي منذ البداية، وإحاطتي برعايتك الكاملة. ألم يأت الوقت الذي وجب عليّ أن أمنحك شيئا أنا أيضا مقابل عطاياك لي ؟

تقدمت خطوة وهي تقبض على يديها :

– أنا لست من الرخام مثل هذا المقعد . أنا لست أميرة معزولة في قصرها العاجي . إني سيدة طبيعية ذات ذكاء متوسط . إني أحبك يا "كلانسي" .

وليس بهذه المودة السطحية التي تعتقد أني جديرة بها ليس إلا . إن حبي لك عميق وواسع يكفي لملء حياتي كلها عندما تطير بالهليكوبتر أو حتى عندما تنزل السلالم ؛ لأني إذا كنت قد استطعت أن أحتمل ما قد حدث لـ"تومي" فلست أدري إذا كنت أستطيع الحياة بدونك.

أغلق عينيه مرتبكا.

– يا إلهي ! يا "ليزا" لا تكلمني هكذا إذا كنت لا تفكرين فيه حقا . لقد اعتدت فكرة أنك لن تقدري أبدا على منحي ...

أمسكت به من كتفيه وهزته بشدة :

– افتح عينيك وانظر إليّ ! آه ! كيف أقنعك؟

ابتسم :

– أعتقد أنك الآن في طريقك إلى النجاح . ربما تستطيعين محاولة الدخول إليّ بقبضة كاراتيه أو اثنتين .

جذبها إليه ، ضمها بين ذراعيه وجعلها تدور حول نفسها وسط ضحكات مرحة :

– إنك تعتقدين ذلك حقاً ياعزيزتي . إنك تعتقدينه حقا !

قالت وهي مستمرة في الضحك :

– أنا لا أعرف شيئا عن الكاراتيه .. لكني أريد أن أتعلمه؛ لأني لست...

أكمل "كلانسي" بدلا منها :

– لست زهرة كاميليا ولا أميرة ولا ...

ثم صمت لكي يقبلها .

استطرد :

– لكنك حبي . أم ابني ومركز دنياي . أتقبلين ذلك؟

قالت وقد ملأها السرور :

– أوه ، نعم .

رفعها بين ذراعيه وأجلسها على مقعد ثم جلس بجوارها :

– أعتقد أنه وجب أن نبتعد عن الكاراتيه حتى ولادة الطفل .

ضحكت "ليزا" ، اقتربت منه أكثر فوضع "كلانسي" يده على بطنها .

تمتم:

– يالله من يوم شاق! كم كنت قلقا من أجلك بعد عودتنا المضطربة إلى "مارَاسيف" !

– لم يكن هناك داع لقلقك . بالعكس لقد كان التوتر نافعا للجنين؛ لأنه أظهر نشاطا في فترة بعد الظهر هذه.

– حقا ؟!

ثم اشتركت يده الأخرى في ملاطفة بطنها .

أردف وهو ينظر في عينيها :

– هل تعلمين أني لست غيوراً. وجب أن تعلمي ذلك . إني أحب طفلنا كثيرا .

أجابت بصوت مخنوق من فرط التأثر :

– أعلم ذلك. إن ما قاله لك "مارتن" في المطار لم يكن حقيقة يا "كلانسي" .. ربما كان ذلك بالنسبة له ؛ لأني لم أكن قد عرفت ما هو الحب وقتئذ ...

أحاطت عنقه بذراعيها ثم واصلت حديثها :

– والآن لقد عرفته . وهذا بفضلك طبعا .

وحتى بدون تميمة "مارنا" أشعر بأننا لن نفترق أبدا.

أغلقت عينيها وتحول صوتها إلى تنفس :

– أليس هذا رائعا ؟!

ردد وكأنه صدى صوتها :

–رائعا !

ثم ضحك وكان الضحك صادرا من حلقه .

قال:

– "ليزا" : لا أعلم ما قد اعتراني الآن فجأة... لي رغبة في الصياح والبكاء في آن واحد.

هز رأسه :

– في الحقيقة : إن لي إحساسا بأن الحب قد فاتني لفترة طويلة. لكن

هانذا . في ملء الحياة . . . كان عليّ أن أنتظره طويلا . . . قبلها ثانية وواصل كلامه :

– لكني حاليا . . لقد امتلكتك ، وربما أني الآن في ملء حياتي فالوقت لم يعد بعيدا . . . بالنسبة لي !

قالت مصححة بصوت عذب :

– ليس بعيدا بالنسبة لنا . لكن من يدري ؟ ربما لو كنا تقابلنا قبل الآن فربما لم نكن مستعدين وقتئذ لأن نحب بعضنا بهذه القوة؟ كان علينا –بلاشك– أن نجتاز هذه التجارب – كل من جانبه – لكي نقدّر ما حدث لنا اليوم . . فتحت عينيها وتاملته بحب :

– كان يومك شاقاً كما تقول يا "كلانسي" . ما رأيك في أن تذهب إلى السرير لكي تستريح؟

– لست متعبا . بالعكس إني أشعر بالشباب والقوة . . والسعادة أيضا، ولن أجد النوم إذا رقدت الآن ؛ لأني أفضل البقاء معك جالسا على هذا المقعد وأنت معي وبين ذراعي.

مرة أخرى لاطف بطنها :

– وربما أيضا أشعر بطفلنا يتحرك تحت كفي . . هل أنت موافقة؟

قاومت لكي تبتلع الدموع التي ملأت عينيها . لكن هذه الليلة ليست للدموع الحزينة، و ليس للبكاء مكان ، ولكنْ دموع من فرط الفرح والسعادة.

– أوه! نعم يا حبي!

أغلقت عينيها مرة أخرى ، مالت برأسها على كتفه . كم كان الجو لطيفا في هذه الحديقة الغنّاء حيث كانا يستنشقان السلام، والسعادة المتبادلة . كان يكفيهما في هذه اللحظة الإنصات إلى تغريد البلبل في شجيرة الورد وانتظار مولد الحياة .

تمّت بعون الله